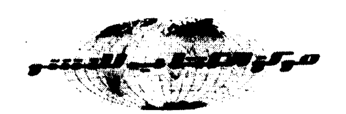
الديـن..
رؤيـة جديـدة

سامح سمير

الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م



الطبعة الأولى
١٤٢٧هـ - ٢٠٠٧م

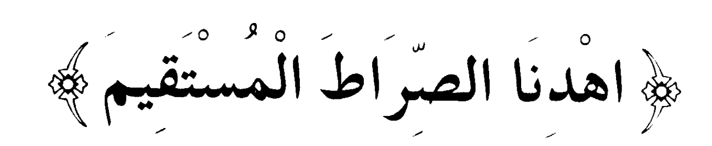


مصر الجديدة: ٢١ شارع الخليفة المأمون - القاهرة
تليفون: ٢٩٠٨٢٠٣ - ٢٩٠٦٢٥٠ - فاكس: ٢٩٠٦٢٥٠

مدينة نصر: ٧١ شارع ابن النفيس- المنطقة السادسة - ت: ٢٧٢٣٣٩٨

http://www.top25books.net/bookcp.asp.
E-mail:bookcp@menanet.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



[سورة الفاتحة آية : ٦]

إهـــداء

إلى (كل نفس بشرية)



مقدمة

كلمة دين كلمة وقورة لها وقع مطمئن على النفس ولكن هل فكرنا يوماً فى معنى هذه الكلمة وما هويتها ودورها بالضبط ؟

هل الدين نشاط أو أداء معين ومستقل يقوم به الإنسان فى أماكن وأوقات معينة مثل أى نشاط آخر يقوم به، أم هو شئ له علاقة بكل الأنشطة التى يقوم بها الإنسان فى أى مكان وأى زمان .

أم هو هوية معينة يمكن أن يتخذها المرء وتظهر فى كلامه أو ملابسه أو تفكيره .

وهل أساساً كلمة الدين مقصورة على الإنسان فقط أم أنه يمكن أن يكون أيضاً لكل الكائنات نصيبا فى هذه الكلمة .

أم هل الدين نفسه يمكن أن يكون مخلوقاً مثل باقى المخلوقات ولو كان كذلك فهل هو الآخر بحاجة إلى أن يكون له دين أى هل هناك دين للدين؟

هل هناك دين صحيح وآخر خاطئ ، ولماذا ؟

هل الدين لا بد أن يكون من إبداع الخالق أم أنه يمكن أن يكون من إبداع المخلوق أيضاً ؟

هل ...... ؟ هل ......؟

أيضاً توجد كلمة أخرى مهمة فى حياتنا وهى كلمة إدارة وهى كلمة أنيقة توحى بالنظام والنجاح ولكن هل حاولنا أن نعرف ما معنى هذه الكلمة الساحرة التى بهرت الكثيرين فى هذا العصر فكما هو معروف أن الإدارة الجيدة هى التى تحقق الأهداف المطلوبة .

ولكن ما معنى إدارة جيدة وإدارة غير جيدة ؟

وما هى هوية ودور هذه الكلمة بالضبط ؟

وهل هي تمثل نشاطا مستقلا يقوم به الإنسان أم أنها نشاط له علاقة بكل ما يقوم به الإنسان ؟

وهل هى مقصورة على الإنسان فقط أم أنه يمكن أن يكون لكل الكائنات علاقة بها ؟

وهل يمكن أن يكون هناك علاقة بين كلمة الدين وكلمة الإدارة؟

أم أن دين جيد يساوى نجاحًا في الآخرة وإدارة جيدة تساوى نجاحًا فى الدنيا.

هذا أمر غيبى ربّانى وهذا أمر دنيوي بشرى . هل لا بد أن نفصل الاثنين عن بعضهما أم أنه لا يمكن ذلك ؟

يا ترى هل فكرنا يوماً في كل أو بعض هذه الأمور ؟

وفيما يمكن أن يفيدنا هذا ؟

هذا ما نحاول مناقشته معاً على ضفاف نهر هذه الصفحات مؤمنين بأنه لا يمكن إقامة علاقة ناجحة مع أى شيء ولا يمكن الإحساس بقيمة أى شيء دون أن نعرفه معرفة عملية حقيقية .

سامح سمير

الإنسان والإدارة



علاقة الإنسان بأى شيء لا شك وأنها بدأت مع أول إنسان وجد على هذه الأرض التى نعيش عليها، ولو بشكل بدائى .

فعلاقة الإنسان بالإدارة عموماً لا بد وأنها بدأت مع آدم عليه السلام أول البشر فلا شك أنه كان له احتياجات مادية وغير مادية يريد أن يشبعها وذلك من خلال الموارد البسيطة التى وجدها من حوله، فبدأ يستخدم قدراته وإمكانياته البدائية ويحاول أن يؤدى ويعمل ويتفاعل مع كل ما حوله لكى يشبع احتياجاته ويشعر بالأمان فى هذه الغربة الوجودية .

فالإدارة إذاً عملية قديمة مارسها الإنسان منذ القدم ربما يكون قد مارسها دون أن يعرف أن ما يفعله هو ما يمكن أن يطلق عليه كلمة إدارة، ولكن بمرور الوقت ومع تكاثره وبالتالى تكاثر خبراته ومعارفه ومع تقدم أدائه فى كافة المجالات تبلور لديه هذا المفهوم وهذا المسمى الذى هو بلا شك يعكس ويلخص ويعبر عن مفاهيم وأنشطة خاصة معينة. ولكن ما هى الآليات والوسائل التى اتبعها الإنسان ليمارس من خلالها هذا النشاط الذى أطلق عليه كلمة الإدارة؟ هل اتبع أسلوبا ومنهجا واحدا منذ القدم أم أن هناك تطورًا وارتقاءً لهذه المناهج والأساليب؟ فإذا أردنا أن نستعرض بعض ملامح تاريخ وتطور علاقة الإنسان بالإدارة يمكن أن نرصد الآتى :

النموذج البيروقراطى :

يتسم هذا النموذج بالدكتاتورية والمركزية الشديدة ويمكن تلخيص أهم خصائص هذا النموذج فيما يلى :

- توزيع السلطة توزيعاً هرمياً متسلسلاً وطبقاً لقواعد محددة وتتركز فى كل وظيفة على السلم الهرمى سلطة ومسئولية محددة وليس على الشخص نفسه، وتوجد على قمة الهرم طبقة الإدارة التى تتكون من

متخصصين على مستوى رفيع من الخبرة والتدريب فى إدارة البيروقراطية واحتكار السلطة.

- الارتباط الدائم بين الموظف والبيروقراطية واستقراره فى مهنته وصعوده السلم الهرمى بالترقية عن طريق الأقدمية والجدارة .
- اتباع نظام دقيق وصارم يتكون من قواعد وإجراءات وتعليمات تتميز بالشمول والعمومية وتضمن التطبيق الواحد للحالات الواحدة وتكفل استمرار العمل بغض النظر عن الأشخاص القائمين به .

مدرسة الإدارة العلمية :

تتبع هذه المدرسة أسلوباً يقوم على التجربة والمشاهدة وتسجيل الأحداث وتحليلها والتوصل إلى نتائج بناء على هذا التحليل مع التركيز على الجانب الفنى للعمل ويمكن تلخيص أهم خصائص هذه المدرسة فيما يلى :

- استخدام الطريقة العلمية بدلاً من الاعتماد على الخبرة والتخمين .
- تلافى الفردية والنزاع وإحلالهما بالتعاون والرغبة الصادقة بين طرفى الإنتاج: الإدارة والعاملين لتحقيق أقصى إنتاجية ممكنة .
- ترتيب المكان على أساس متطلبات العمل والآلات والمعدات المستخدمة وعدد العاميلن .

وقد ساهمت مدرسة الإدارة العلمية فى تطوير الإدارة وتكويـــن ملامح مهنة الإدارة وتحويل تفكير المديرين إلى الأسلوب العلمى ولكنها أهملت الجانب الإنسانى والفروق الفردية بين العاملين.

مدرسة العلاقات الإنسانية :

هذه مدرسة تجريبية أخرى اتبعت نفس الأسلوب العلمى التحليلى الذى استخدم فى مدرسة الإدارة العلمية ولكن مع اخـــتلاف نقاط التركيز اذ

إن مدرسة العلاقات الإنسانية وجهت عنايتها للعنصر البشرى ويمكن تلخيص اهم خصائص هذه المدرسة فيما يلى :-

- إن العنصر الإنسانى فى العمل هو أهم العناصر جميعاً وذلك لما للإنسان من تركيب معقد جسمي ونفسى واجتماعى الأمر الذى يستلزم معالجة واعية حتى تحصل الإدارة من هذا العنصر على التعاون المطلوب.
- إن دوافع العمل لا تقتصر على الأجور ومختلف المكافآت المادية فحسب ولكن هناك حاجات نفسية واجتماعية عند العاملين أهمها احترام النفس وتأكيد الذات واحترام الآخرين .
- إن الطريقة الديمقراطية فى معاملة العاملين كفيلة بأن تحقق لهم المناخ الصحى والملائم للعمل إذ إنها تشبع حاجاتهم للاحترام والتقدير وإثبات الذات فتجعلهم يشعرون بالرضا وارتفاع الروح المعنوية فيتحمسون لزيادة الإنتاجية .

وقد أحدثت مدرسة العلاقات الإنسانية أثراً كبيراً على تقدم الفكر الإدارى ولكنها ركزت على الإنسان وأهملت جوانب أخرى عديدة مثل المؤثرات البيئية الخارجية .

الإدارة بالأهداف :

تعتبر مدرسة الإدارة بالأهداف من المدارس الإدارية الحديثة التى تحاول أن تعالج الأخطاء التى حدثت فى المدارس الفكرية التى سبقتها، فهي تنظر إلى العملية الإدارية نظرة متكاملة عضوية وتساعد المدير على التفكير في مشكلاته بطريقة متجددة وتحاول إدماج أهداف العمل وأهداف الافراد وتحقيق كل مجموعة من الأهداف من خلال المجموعة الأخرى، وتعمل على

تنمية الموارد المتاحة وتشغيلها بكفاءة عالية وتطوير الممارسات الإدارية وتحسين النتائج المحصلة .

وتقوم فكرة الإدارة بالأهداف على اشتراك كل من الرئيس والمرءوس فى العملية الإدارية فتسير حسب الخطوات الآتية:-

- يتم رسم خطة مبدئية تتضمن الأهداف التى يمكن تحقيقها فى الفترة الزمنية المقبلة والتى تكون عادة سنة والطرق التى يمكن اتباعها للوصول إلى هذه الأهداف والمعايير التى يمكن أن تقيس درجة النجاح فى بلوغ هذه الأهداف.
- يعقد الرئيس والمرءوس اجتماعاً عملياً يناقشان فيه هذه الخطة ويعدلان فيها حتى يتوصلا إلى الخطة أو ورقة العمل التى ستكون دليلهما للعمل فى الفترة الزمنية المقبلة .
- يقوم المرءوس بالتنفيذ ويقوم الرئيس بالمتابعة .
- عندما يصل المرءوس إلى النتائج التى تم تحديدها من قبل تبدأ عملية التقييم بواسطته هو والرئيس أيضاً فيتم استعراض النتائج وقياسها ومقارنتها بالأهداف والمعايير المحددة مـن قبـل وتُبحـث الأخطاء والفروق إن وجـدت وتُحدد أبعادها وتُدرس أسبابها وتوضح طرق علاجها وتصحح الأخطاء ويفكر الرئيس والمرءوس فى الوسائل التى تمنع حدوث مثلها فى المستقبل ثم يقوم الطرفان مرة أخرى بوضع خطة جديدة للفترة الزمنية المقبلة وهكذا .

هذا وعلى الرغم من أن الإدارة بالأهداف تحقق كثيراً من المزايا على رأسها زيادة الإنتاجية وتقوية الاتصالات بين الإدارة والعاملين ورفع الروح المعنوية للأفراد والتشخيص الجيد لمشكلات العمل، إلا أن هناك من جهة أخرى مجموعة من المعوقات مثل صعوبة التوفيق بين أهداف الإدارات والأقسام و الأفراد والأهداف الكلية للمنظمـة وصعوبـة وضـع

مقاييس دقيقة للنتائج المطلوب تحقيقها وخاصة فى أعمال الخدمات، وأيضاً تتطلب جهداً ووعياً كبيرين من جانب الرؤساء والمرءوسين.

الإدارة بالجودة :

تطور الفكر والتطبيق الإدارى من خلال نظرياته ومداخله المختلفة وأنظمته وأساليبه لإحداث توازن بين التنمية المادية والتنمية البشرية، وإذا كانت التنمية المادية تشير إلى محصلة التطور فى الآلات والمعدات والمنشآت فإن محصلة التنمية البشرية تتمثل فى الارتقاء بالأداء والفكر الإنسانى من خلال صقل قدراته وتنمية استعدادته عن طريق المهارات الفنية والمعرفية ومن ثم أصبحنا فى أشد الحاجة إلى جودة عالية فى العنصر المادى والعنصر البشرى وقد انضم إلى هذين المدخلين للجودة مدخل آخر يتمثل فى جودة البيئة ليضفى على نظام الجودة المدخل التكاملى لذلك أطلق عليه نظام الجودة الشاملة .

وقد يعتقد البعض أن نظام الجودة أو الإدارة بالجودة بمفهومها الشامل طبعاً يعتبر بمثابة نظرية جديدة ومستقلة فى الفكر الإدارى ولكن هذا اعتقاد خاطئ، حيث إن مدخل الجودة ما هو إلا غلاف حيوى واحتوائى تتبلور فيه كل المجهودات الإدارية السابقة ويعتبر أساس وفحوى لأى مجهودات لاحقة، ويتجلى فيه الهدف الإدارى الأسمى والأشمل وهو تعظيم قيمة المنظمة أى تعظيم جودة المنظمة عموماً .

وربما كان الإنسان يطور فى نظمه وأساليبه وهو لا يعرف بالضبط ما هو الهدف الحقيقى والمحور الحقيقي والشامل الذى يفعل كل هذا من أجله، كل ما يعرفه أنه يريد الأفضل إلى أن تبلور لديه مفهوم الجودة أو القيمة حيث إن كليهما يعبر عن الأفضل والأنسب والأكثر فعالية والأكثر ملائمة فوجد أنه مفهوم احتوائى وشامل يعبر حقاً عن كل مـــا يصبو إليـــه

ويرغب فى تحقيقه ويعتبر بمثابة بوتقة يمكن أن تنصهر فيها كل الأهداف والآمال والطموحات. إذاً هو يطور من أساليبه عبر الزمن حتى يصل إلى تعظيم قيمته وقيمة منظمته سواء كانت شركة أو دولة أو حتى منزله الذى يسكن فيه، حيث لم تعد الجودة قاصرة فقط على مفهوم جودة المنتج أو خاصة بالمنظمات الصناعية فقط بل أصبحت مقياسا لنجاح وكفاءة أى منظمة تمارس أى نشاط وتعمل فى أى مجال. وهكذا يبرز نظام وأسلوب الإدارة بالجودة كنظام احتوائى وشامل قائم على ربط الفرد بمفهوم عام وشامل وكلى وليس ربطه بمفاهيم وأهداف فردية أو جزئية أو مرحلية فقط ليضمن بذلك تحقيق أهداف المنظمات جميعاً وطبعاً هذا إذا تم تطبيقه بالشكل الصحيح .

ما هى الإدارة؟

قبل أن نحاول أن نصيغ تعريفا عاما وشاملا للإدارة نحاول أن نستعرض بعض الملامح الخاصة بالمهمة الإدارية ككل والتى يمكن أن نستشفها من خلال علاقة الإنسان بكلمة الإدارة ودخولها فى قاموس حياته كما سبق:-

الإدارة مرتبطة بهدف معيّن:-

لاشك أن لكل منظمه حسب طبيعتها وحسب نشاطها هدفاً معيناً تسعى إلى تحقيقه وهذا الهدف يعتبر هو الأساس بالنسبة للمهمة الإدارية فى المنظمة ويمثل محور أدائها ككل حيث تسعى بكل طاقاتها وإمكانياتها أن تحافظ دائماً على الوصول إليه .

الإدارة مرتبطة بمنهج ونظام معين :-

وذلك حيث إن المنظمات حينما تقرر أن يكون لها هدف معين ينبغى تحقيقه لا يمكنها فعل هذا وهى تؤدى بشكل عشوائى فلا بد لها أن تستخدم منهجاً معيناً ونظاماً معيناً لتمارس المهمة الإدارية من خلاله وتتمكن من التحكم فى أدائها وتوجيهه باستمرار نحو تحقيق الهدف المطلوب .

الإدارة عملية لها وظائف ومرتبطة بالأداء ككل :-

أى إنها نشاط حركى يتكون من مجموعة من الممارسات والأنشطة والوظائف المتحركة والمتفاعلة مــع بعضها البعض والتى تحقق فى مجموعها الوصول إلى الهدف المطلوب وهذه الوظائف يمكن تحديد أبرزها وبيان علاقتها بالأداء عموماً كما يلى :

أ- اتخاذ القرارات:

وهو عملية منظمة للتفكير تنتهى باختيار أحد البدائل المتاحة لحل المشكلة وبلــوغ الهدف المطلوب ويشمل اتخاذ القرارات كافــة الأنشطــة

والمجالات الخاصة بالمنظمة وهناك خطوات يجب أن يتبعها متخذ القرار حتى يكون قراره سليماً وهذه الخطوات يمكن توضيحها كما يلى :-

- تحديد المشكلة .
- تعريف المشكلة .
- جمع البيانات وتحليلها .
- تحديد بدائل الحل .
- مقارنة البدائل .
- اختيار البديل المناسب .
- الإعداد للتطبيق والتنفيذ .

ب- التخطيط :

ويتمثل فى تحديد الأهداف ووضع السياسات وتصميم البرامج وتفعيل الخطوات والإجراءات والقواعد، كل ذلك فى إطار زمنى وبيئى معين وذلك حتى تسير الإدارات والأقسام على أساس واضح ويسهل الاتصال بينها والتنسيق بين مهامها، وتستطيع أن تجد الوسائل العلمية والملائمة لاستغلال مواردها والتكيف مع بيئتها ومواجهة التغيرات التى قد تحدث من حولها والتوافق معها .

جـ- التنظيم:

ويشمل تقسيم الأعمال إلى مجموعات تتبع كل مجموعة منها إدارة أو قسم أو شعبة وتوزيع الأعمال فى كل إدارة أو قسم على الأفراد العاملين به وتحديد واجباتهم وتنسيق مجهوداتهم وتحديد السلطة والمسئولية ونطاق الإشراف وتوضيح خطوط الاتصال بين الإدارات والأقسام وذلك حتى ينساب العمل بكفاءة وتتسلسل خطواته وتتناسق أجزاؤه .

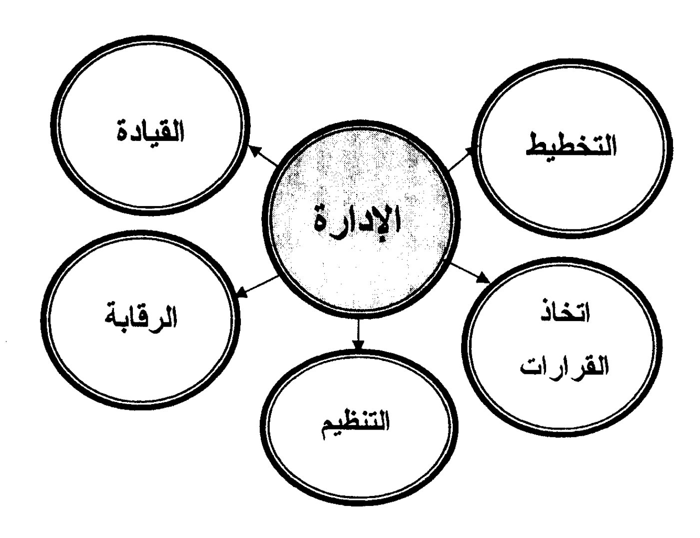
د- القيادة:

ويختص هذا الجزء من العملية الإدارية بالتعامل مع العاملين والإشراف عليهم وعلى أدائهم وعملهم وهذا يتطلب تفهم واقعهم ودراسة حاجاتهم وتحسين علاقتهم وزيادة تفاهمهم وانسجامهم وتحفيزهم بمختلف المحفزات وتكوين فريق عمل متكامل من جماعة العاملين تتناسق مجهوداته وتتفق ميوله ورغباته لتحقيق الأهداف المشتركة .

هـ- الرقابة:

ويقصد بها قياس النتائج المحصلة للتأكد من مطابقتها للمعايير التى تتضمنها الخطة الموضوعة وإذا كان هناك انحرافات عن هذه المعايير فإن مهمة الرقابة أيضاً التعرف على هذه الانحرافات أو الفروق والبحث عن أسبابها وتصميم العلاج المناسب لها وإعادة العمل إلى مساره الصحيح.

ويمكن التعبير عن الوظائف الرئيسية للإدارة من خلال النموذج الآتى:



إذاً ومن خلال العرض السابق وجدنا أن الإنسان ومنذ البداية أدرك أن له احتياجات مختلفة مادية وغير مادية ومتزايدة وأنه لكى يشبع هذه الاحتياجات لابد له من أن يعمل ويؤدى، ومع مرور الوقت بلور وصاغ هذه الاحتياجات فى صور أهداف معينّة وبدأ يتلمس الطرق والأساليب التى يمكن له أن يستخدمها للوصول إليها .

فلو تخيلنا مثلاً إنساناً يسير فى صحراء دون أن يكون له هدف معيّن أو منطقة معينة يريد الوصول إليها نجد أنه يؤدى أداء السير بشكل عشوائى، ولكنه عندما يقرر أن يصل إلى منطقة معينة أى يكون له هدف معين ماذا يفعل؟ نجد أنه لا بد له أن يوجه ويخضع أداءه إلى طريقة معينة واتجاه معين ليضمن الوصول إلى هدفه .

وهذا ما فعله الإنسان بدءاً من الأسلوب البيروقراطى ووصولاً إلى الإدارة بنظام الجودة بمفهومها الكلى والشامل طبعاً .

ووجدنا أن هناك وظائف رئيسية مختلفة يمارسها الإنسان تعبر عن العملية الإدارية نفسها وهى اتخاذ القرارات، التخطيط، التنظيم، القيادة، الرقابة والتى يتم تطبيقها من خلال الطريقة والأسلوب والنظام الذى يتبعه ليصل إلى الهدف المطلوب .

إذاً يمكن القول أن الوظائف الإدارية السابقة ما هى إلا توجيه للأداء نحو الهدف المطلوب، إذاً كلمة توجيه هى الكلمة المرادفة والجامعة والمعبرة عن كل الوظائف الإدارية الرئيسية السابقة حيث إنها جميعاً تصب فى التوجيه نحو الهدف المطلوب وهى أيضاً الكلمة المرادفة لكلمة الإدارة .

وأيضاً يمكن القول أن الوسيلة والأسلوب والنظام الذى يتم استخدامه ما هو إلا اتجاه نحو هذا الهدف، فكلمة اتجاه هى الكلمة المعبرة بشكل عملى عن كلمة طريقة أو أسلوب أو نظام حيث إن الطريقة أو الأسلوب أو النظام

يستخدم كاتجاه لتوجيه الأداء لضمان سيره باستمرار نحو الهدف المطلوب.

إذاً يمكن أن نقول إن الإدارة هي توجيه الأداء من أجل الوصول إلى هدف معيّن من خلال اتجاه معيّن. ويمكننا أن نستنتج أيضاً وعلى هذا النحو أن الإدارة ليست قاصرة على المديرين أو المسئولين أو الأمور التجارية فقط كما يمكن ان يعتقد او يشعر البعض. بل إن كل إنسان يمكنه أن يمارس الإدارة بل يمكن أن يكون ممارساً لها دون أن يشعر أن ما يفعله هو الإدارة بعينها، فأى إنسان يؤدى أي أداء مادى أو غير مادى أى بالنفس أو بالعقل أو بالقلب أو بالجسد وهو فى المصنع أو فى المكتب أو في المنزل أو فى الشارع وحتى ربة المنزل أو الطفل الصغير يمكنهم أن يمارسوا الإدارة .

بل والأكثر من هذا أنها ليست قاصرة على الإنسان نفسه فقط بل يمكن أن يكون لكل كائن نصيب فى هذه الكلمة أيضاً. فمثلاً الأسد فى الغابة حين يقرر أن يفترس فريسة ما، فهى تمثل الهدف بالنسبة له فى هذا الموقف والأداء الذى سوف يبذله للوصول إلى هذا الهدف يحتاج إلى توجيه منه نحو هذا الهدف، إذاً هو أيضاً يمارس الإدارة. والكواكب والنجوم وحتى الجزيئات والذرات كلها تعمل فى نظام وتوجيه مستمر لأدائها، إذاً العملية الإدارية موجودة هنا أيضاً. حتى أي جهاز يخترعه الإنسان نجد أنه يتم توجيه أدائه نحو الأهداف المطلوبة منه من خلال نظام معين أي اتجاه معين وضعه وصممه له الإنسان بشكل مسبق، ونجد هنا أن العملية الإدارية موجودة كذلك. وهكذا يمكننا أن نقول الآن أن التعريف العام والشامل والذى يضع أيدينا على المعنى الحقيقى والعملى والمجرّد للإدارة هو كما يلى:-

الإدارة هى:

توجيه أداء الكائن من أجل الوصول إلى هدف معيّن من خلال اتجاه معيّن .

الإنسان والدين



هنا أيضاً لا بد أن نتذكر أن علاقة الإنسان مع أى شىء لا بد وأنها بدأت مع أول إنسان وجد على هذه الأرض ولو بشكل بدائي ايضاً. فعلاقة الإنسان بالدين بدأت مع آدم عليه السلام أول البشر حيث أنه يعتبر أول الأنبياء أيضاً وأول من تلقى الوحى من الله سبحانه وتعالى الواحد الاحد خالق هذا الكون وخالق كل ما فيه ومنزل الأديان والرسالات والكتب السماوية ، فهو أول من عرف الله ودعى اليه من البشر .

ثم تكاثر البشر وانتشروا فى مختلف بقاع الأرض وأصبحوا أعراقاً وأجناساً وفئات مختلفة، كل منهم له عادته وتقاليده واجتهاداته فى كل المجالات الوجودية المحيطة به .

وطبعاً الله سبحانه وتعالى خالق هذا الكون وخالق الإنسان لم يخلقه ليتركه يهيم على وجهه تائهاً ضالاً دونما أي هداية وإرشاد وأيضا لم يرسل الأنبياء والرسل إلى فئة من البشر ويترك فئة أخرى دون رسل أو أنبياء، قــال تعالــى: ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ (سورة فاطر آية: ٢٤).

حيث أرسل الله عز وجل أنبياء ورسلا على فترات مختلفة من حياة البشرية، كلهم يدعون إلى الإيمان بالله وإلى الصلة معه سبحانه وتعالى أى يدعون إلى شىء واحد وإلى عقيدة واحدة تماماً مثل ما دعى إليه آدم عليه السلام أول الأنبياء وأول البشر .

ولكن كان عدم الإيمان وعدم استيعاب بعض أو كل ما دعى إليه الأنبياء والرسل على مر العصور نتيجة لعوامل كثيرة منها على سبيل المثال الوقوع في فخ الأطماع البشرية والمصالح الشخصية وذلك مثلما يظهر ملك مثلاً يدعى أنه الإله والخالق ليحافظ على ملكــه، ويضمن لنفسه

الولاء والمجد، أو مجموعة من الكهنة يقيمون معابد لدين ما وعقيدة ما حتى يتمكنوا من ممارسة سطوتهم ونفوذهم واستغلال المحيطين بهم، وأيضا من هذه العوامل الوقوع فى فخ العادة والألفة حيث إن كل إنسان يتبع ويتقيد بما وجد عليه إنسان آخر أو بما وجد عليه آباءوه وأجداده وبيئته التى نشأ فيها، بصرف النظر عن قناعته وإيمانه بما وجد نفسه عليه وقد يكون أيضا من هذه العوامل القهر والأضطرار حيث إن الأقوياء يمكن أن يقهروا الضعفاء ويضطروهم إلى اتباع منهج معين والاعتقاد فى عقيدة معينة .

وقد يكون أيضاً من هذه العوامل دافع البحث عن حلول لبعض المشاكل الوجودية والمعرفية، اعتقد الإنسان أنها غير موجودة فى الأديان السماوية المنزلة من قِبل الله عز وجل وذلك لأنه لم يفهمها على حقيقتها ولم يعرف كيف يستخدمها الاستخدام الصحيح وفشل فى عمل الربط بين هذه الأديان السماوية وبين مشاكله الوجودية والمعرفية المتعددة .

هذه لمحة موجزة عن بعض العوامل التى ساهمت في ظهور اتجاهات وأديان كثيرة ومختلفة اتبعها الإنسان واستخدمها على مر العصور، تختلف عن الأديان السماوية المنزلة من قِبل الله عز وجل .

فإذا أردنا أن نستعرض بعض ملامح تاريخ وتطور علاقة الإنسان بالدين يمكن أن نرصد الآتى :

الأساطير:

يمكن اعتبار أن الأساطير كانت تمثل الدين بالنسبة للإنسان الهمجى فى العصور القديمة وكانت كل أسطورة تفرض رمزاً معيناً ينسجه الإنسان من وحي خياله مستعيناً بملكة التجسيم والتصوير وتجعل منه إلهاً يُعبد .

الأسلاف :

كما ظن الإنسان فى البداية أن الشمس تدور والأرض ثابتة وكما ظن أن البرق والرعد عفريت ، كذلك ظن أن أباه أو جده الذى مات هو الله فعبده وقدم له القرابين واتخذ من قبره محراباً ومزاراً .

ولقد تطورت عبادة الأسلاف لتصبح عبادة ثابتة وأصبح لكل قبيلة جد قديم تجعل منه إلهاً ومعبوداً وكان الرجل يرى أجداده فى المنام فيؤكد له هذا أنهم باقون وأنهم يفرضون عليه فروض الطاعة والولاء .

الطواطم :

تصور الإنسان البدائي أن روح أباه أو جده الذى مات يمكن أن تحل فى حيوان أو شجرة فانتقل إلى عبادة الحيوانات والأشجار وأصبح لكل قبيلة إلهها الخاص الذى تعبده وكان يسمى بالطوطم وهو مرة طائر ومرة أسد ومرة عجل ومرة شجرة وهكذا..........

ولا تزال هذه العقيدة مستمرة إلى الآن فى بعض القبائل الهمجية فى استراليا وإفريقيا وآسيا بشكل أو بآخر. وإذا اتخذت القبيلة طوطماً لها حرمت قتله أو أكله وحرمت الزواج بين الذكور والإناث الذين ينتمون إلى ذلك الطوطم .

الوثنية:

البعض الذين احتفظوا بعبادة الأسلاف والأجداد صنعوا لهؤلاء الأجداد تماثيل وأصناماً ترمز إليهم حتى يكون لما يعبدونه ويتصورن أنه إله جسم ملموس وموقع ثابت يزار ويقدم له القرابين.

أخناتون:

مر الإنسان الهمجى بمراحل عديدة نحو بناء عقيدته ومعرفة إلهه فتوصل إلى تعدد الآلهة والأرباب. بقدر حاجات الإنسان الهمجى ومخاوفه

فهو يجعل هناك رباً للأمطار ورباً للحرب، ورباً للتناسل، وربما جعل الرياح أو الشمس أو النار هى إلهه أي حيث يتصور مواقع القوة والعطاء ثم بعد ذلك تلخصت هذه الكثرة وهذا التعدد من الأرباب فى إلهين اثنين: إله للخير وإله للشر مثل (فشنو) و(سيفا) عند الهنود و(هرمز) و(اهرمن) عند الفرس ثم ظهرت فكرة الإله الواحد ممثلة فى الإله (رع) عند الفراعنة وفى اليونان الإله (زيوس) كبير آلهة الأولمب الذى جعل من باقي الآلهه أرباباً صغاراً يعملون فى خدمته ويدينون له بالولاء والطاعة، وكانت أول خطوة نحو توحيد حقيقى لرب مجرد هى الخطوة التى حققها أخناتون فيلسوف الفراعنة فقد ورث أخناتون عبادة الشمس عن أجداده وما لبث أن ثار على تلك العبادة الشمسية،مقرراً أن الشمس ما هى إلا مخلوقة هى الأخرى وأن الخالق الجدير بالعبادة هو القوة التى أبدعتها وجعل من قرص الشمس مجرد رمز لتلك القوة الواحدة المستترة وأسماه (أتون) الواحد القادر على كل شيء .

ويعبر أخناتون عن هذا التوحيد فيقول :-

يا آتون الحى يا بدء الحياة .

إنك بعيد متعال .

ولكنك تشرق على وجوه الناس .

إنك تمنح الحياة للجنين فى بطن أمه وتعتنى به طفلاً.

وتفتح فمه وتعلمه الكلام .

وتدبر له كل ما يحتاج إليه فى حياته .

وتعلم الفرخ كيف يثقب بيضته ويخرج .

وما أكثر مخلوقاتك .

يا واحد يا أحد ولا شبيه لك .

لقد خلقت الأرض حسبما تهوى، خلقتها وحدك ولا شريك لك .
وخلقت ما عليها من إنسان وحيوان .
ودبرت لكل مخلوق حاجاته .
وقدرت له أيامه المعدودة .
وجعلت الناس أمماً وقبائل ولغات متعددة .
وجعلت لهم الشتاء ليتعرّفوا على بردك .
والصيف ليذوقوا حرارتك .
وصورتهم فى بطون أمهاتهم بالصور التى تشاء .
وأنزلت لهم الماء من السماء ليجرى أمواجاً تتدافع وتروى حقولهم.
ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية .
إنك فى قلبى وليس هناك من يعرفك غير ابنك الذى ولد من صلبك.
ملك مصر العليا والسفلى الذى يحيى فى الحق .
سيد الأرضين أخناتون .

زرادشت:

ظهر زرادشت فى فارس سنة ٦٦٠ قبل الميلاد ليجد الديانة الفارسية موزعة بين عبادة إلهين: هرمز إله الخير واهرمن إله الشر فأدخل التوحيد لأول مرة فى الفكر الدينى وقصر العبادة على رب واحد ونزل بإله الشر إلى مرتبة المخلوق الضعيف، والإله عند زرادشت موصوف بأكمل الصفات والموتى يبعثون ويحاسبون وتوزن أعمالهم الأخيار يرفعون إلى السماء والأشرار يقذفون إلى الهاوية، ومن تتعادل حسناتهم وسيئاتهم لا يعذبون ولا ينعمون وإنما يقضون حياتهم فى انتظار قيام الساعة حينما يؤخذ الكل ويقذفون إلى النار المقدسة ليطهروا ثم يرفعوا جميعاً إلى أعتاب الإله الرحيم الغفار.

والنار تقدس عند زرادشت باعتبارها أطهر المخلوقات لا باعتبارها إلهاً يعبد وكان زرادشت هو محطم الأصنام والأوثان بالنسبة للديانة الفارسية ورافع راية التوحيد بين ربوعها .

الهندوسية:

من أكثر الديانات انتشاراً فى الهند الديانة الهندوسية وكتاب الهندوس المقدس اسمه (الويدا).

والهندوسية ليس لها مؤسس معين وكذلك كتابها المقدس فقد اشترك فى وضعها الشعراء والزعماء الدينيون والحكماء الصوفيون وتتركز عقائد الهندوسية فيما يلى :-

- البراهما .
- تناسخ الأرواح أو تجوال الروح .
- الانطلاق .
- وحدة الوجود .

والشهوة فى نظرهم أقوى عامل فى الحياة كما اعتقدوا بالتناسخ لأنه يضمن العقاب للمسيئ إذا أفلت فى الحياة الأولى، والروح تعود بالتناسخ لكى تستوفى شهواتها وتتذوق ثمار أعمالها السابقة وإذا لم يرتكب الإنسان إثماً أو خطيئة نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد وامتزجت بالروح العليا وبالكائن الأسمى (البراهما).

ويقولون بأنه من لم يرغب فى شىء وتحرر من رق الأهواء واطمأنت نفسه فى نفسه فإنه لن يعاد إلى حواسه وسوف يتحد بالبراهما وهنا تتحقق وحدة الوجود .

وأقصى ما يطمح إليه البرهمي هو الانطلاق والاندماج فى البراهما من خلال الصوم الطويل وتعذيب النفس والحرمان والخوف من الموت وهم

يقدسون البقرة لأنها عندهم مصدر الخير ولها عندهم صلوات خاصة، والهندوس يتزوجون وإن كانوا يتنحون عن الحياة العائلية بعد حين للتفرغ لخدمة المجتمع ثم للرياضة الروحية بعد ذلك من خلال الزهد، وعلى طالب العلم تجنب الحلوى واللحوم والروائح الطيبة والنساء، وعندما يصل إلى الشيخوخة عليه أن يهجر أهله ويقيم فى الغابة ولا يقص شعره ولحيته وشاربه ولا يقلم أظافره .

والهندوسية هى دين توحيد من جهة ودين تعددية من جهة أخرى وهم يعبدون قوى الطبيعة ويعبدون أيضاً الأجداد والبقر وإذا مات الزوج الهندوسي ترملت زوجته، وكثيراً ما كانت تلقي نفسها فى النار لتحرق مع زوجها حيث إن الأموات يحرقون. وليس للفرد أهمية تذكر فى الهندوسية بل الأهمية للجماعة .

البوذية:

من المعروف أن البوذية تنتشر فى الهند وتايلاند وبورما وغيرها من دول جنوب شرق آسيا وكانت منتشرة فى الصين إلى أن قضى عليها النظام الشيوعي سنة ١٩٤٩م، كما أن لها أتباعاً فى اليابان وقد ظهرت البوذية كعقيدة دينية سنة ٥٦٠ قبل الميلاد على يد بوذا الذى كان اسمه جوتاما وهجر أسرته وزوجته وابنه فى سن التاسعة والعشرين لكى يتفرغ للعبادة والتأمل وإرساء قواعد ديانته الجديدة، وقد زاول حياة التأمل والتنسك ومارس الزهد وصام حتى أوشك على الموت ووصل إلى ضالته الروحية وهـو جـالس تحت شجرة ذات يوم وتحول الى بوذا أي الفرد المستنير ووصل إلى مرحلة (النيرفانا) أى الغبطة الكاملة .

والوجود فى البوذية إثم يجب التخلص منه فلو استأصل الإنسان هذه الرغبة فى الوجود لتحرر من دائرتـه ووصل إلى مرحلـة النيرفانا ولكى

يصل الإنسان إلى هذه المرتبة عليه أن يظل أعزب حتى نهاية عمره ويعمل الصالحات ويمارس التأمل .

وقد سمح بوذا للنساء بأن يتحولن إلى راهبات وكان متردداً كثيراً فى ذلك. ويغلب على هذه الديانة الطابع السيكولوجي أكثر من الطابع الميتافيزيقي أو اللاهوتى، وتقوم على حقائق أربع :-

- الحياة بأسرها كئيبة .
- تعزى الكآبة إلى الشهوات .
- إمكان القضاء على الكآبة بعد القضاء على الشهوات .
- صد الشهوات بحياة العزلة والتأمل .

ولا تعترف البوذية بإله خالق للكون بل إن الآلهة تخضع فى نظرهم للحياة والموت .

التاوية:

الديانة التاوية من أهم الديانات فى الصين وتتسم كتابات التاوية بالأسلوب المرح والشاعرية والشطحات الصوفية والموضوعات الميتافيزيقية. وتتركز التاوية على آراء (لاوتزو) التى تقوم على حكمة التظاهر بالغباء والحمق وأن القوة فى الضعف والربح فى القناعة والسلامة فى البقاء في المنزلة الأدنى والفائز من يسلم لخصمه، و(التاو) عند لاوتزو مصدر الكائنات جميعاً وهو يسوس جوانب الحياة ولا يدرك إلا بنوع من الإذعان والسلبية وانتفاء الصراع .

والإنسان الكامل عندهم هو الحكيم الذى يكون على بصيرة بمبدأ التاو الخفى وعلى من يريد إدراكه والوصول إليه أن يكسر شوكة نفسه ويصطنع السلبية ويتحرر من الرغبة ويحتقر الترف ويعود إلى البراءة والبساطة والانسجام مع الطبيعة. وكلمة تأو معناها العظيم وهو الرداء الذى يكسو

ملايين الأشياء ويرقى بها وهي ذاتية تتألف من جوهر أصيل وهو السبيل الذي على الإنسان أن يسلكه، وعندهم كل شيء جيد والإنسان وحده فقط هو الخسيس، والشعور بالوجود عندهم عذاب وشر.

ومن طقوس هذه الديانة تبادل الناس رش بعضهم البعض بالماء البارد وفيه ورق الورد كدليل على المحبة وتقديسا للطبيعة ومحاولة للعودة إلى البراءة والمرح.

اليونان:

تاريخ العقيدة فى بلاد اليونان حفل بجميع أنواع العقائد البدائية فعبدوا الأسلاف والطواطم ومظاهر الطبيعة ومزجوا هذه العبادات جميعاً بطلاسم السحر والشعوذة، وظهر فيهم كثير من المفكرين والفلاسفة الذين كان لهم دور كبير فى تشكيل المعرفة وتكوين العقائد والمناهج فى ذلك الوقت ومنهم على سبيل المثال لا الحصر:

بروتاغوراس:

ولد فى سنة ٤٨٠ قبل الميلاد وقد اتهم فى أثينا بالإلحاد لتأليف كتاب عن موضوع الآلهة، وفلسفته ومنهجه كانا يقومان على فكرة جوهرية وهى أن الإنسان هو معيار كل الأشياء، وهو لا يقصد الإنسان كطبيعة بشرية عامة وإنما يقصد الإنسان الفــرد حيث إن كل إنسان فرد هو مقياس لنفسه فما يراه حقيقى هو حقيقى وما يراه غير حقيقى فهو ليس حقيقي وليس هناك حقيقة سوى إحساسات وانطباعات كل إنسان حيث لا توجد حقيقة موضوعية، واشتهر بقضاياه الثلاث :-

- لا يوجد شيء .
- إذا وجد شيء فلا يمكن معرفته .
- إذا امكن معرفته فلا يمكن نقل معرفته إلى الآخرين .

وهكذا كانت فلسفته ومنهجه تعتبر اتجاهاً مدمراً ومعادياً للأديان والأخلاقيات عموماً حيث إنه لا يوجد أي دين، وكل إنسان يمكن أن يكون له طبقاً لهذا المنهج دين خاص به حسب طبيعته وظروفه، بل يمكن أن يغير الإنسان الواحد دينه حسب ما يعتريه من ظروف أو تغير فى أفكاره ومعتقداته ، وربما تكون هذه الرؤية وهى اللادين واللامرجع قد وجدت من تروق له ويروج لها ولكن بأشكال مختلفة من المفكرين والفلاسفة بعد ذلك حتى عصرنا هذا .

أرسطو :

ولد أرسطو فى عام ٣٨٤ قبل الميلاد وقد كان أرسطو فيلسوفاً وصاحب تعاليم شاملة، لم يكن هناك فرع من فروع المعرفة لم يجذب انتباهه ولم يكن خبيراً فيه وتركزت فلسفته ومنهجه على المنطق، فالمنطق عند أرسطو نظرية للبرهان وعلم دراسة أشكال التفكير الضرورية للمعرفة. والله عند أرسطو هو المحرك الأول للعالم وليس خالقه أى حركته وإن كان هو نفسه لا يتحرك .

اليهودية:

نعود إلى الديانات السماوية المنزلة من قبل الله الواحد الأحد.

فكما سبق ان الله سبحانه وتعالى ارسل فى كل أمة رسول ليبلغهم الرسالة ويذكرهم بالدين الصحيح والمرجع الصحيح والأساس القويم. ولا يمكن حصر الأنبياء بعدد معين حيث إن هناك أنبياء كثيرين لم يتم ذكرهم فى الكتب المنزلة من عند الله عز وجل ولا نعرف عن قصصهم شيئاً .

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴾ (سورة غافر آية: ٧٨) .

وهكذا توالى إرسال الرسل عليهم السلام من قبل الله عز وجل إلى أن وصلنا إلى بنى إسرائيل، وإسرائيل كما هو معروف هو لقب لسيدنا يعقوب عليه السلام وهو ابن سيدنا إسحاق عليه السلام ابن سيدنا إبراهيم عليه السلام.

حيث أرسل الله إليهم سيدنا موسى عليه السلام فوجدهم قد انتكس حالهم إلى وثنية بدائية حيث يعبدون الأصنام والطواطم كغيرهم من الأمم الهمجية فدعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وبدأ هذا الدين خطواته المباركة على أرض مصر والتوراة هي اسم الكتاب المنزل من قبل الله عز وجل على سيدنا موسى عليه السلام . وتمتلئ التوراة والمزامير فضلاً عن الوصايا العشر بالحكم والأقوال المأثورة مثل :-

- كل الأنهار تجرى إلى البحر والبحر ليس بملآن .
- العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع .
- رأيت الذي يتعب ويجمع يذهب تعبه وثمار يديه إلى من لم يتعب ولم يكدح .
- رأيت المظالم تفرق الأرض فغبطت الموتى والذين لم يولدوا .

ولكن للأسف دخل عليها خلط كثير من الخيال البشري والقصص التى أفسدت قيمة ما احتوته من كنوز ودرر ثمينة .

ولا يأتى ذكر البعث والآخرة والجنة والنار إلا فى آيات متأخرة من التوراة يتأخر تاريخها إلى مائتى سنة قبل الميلاد .

وكان الإسرائيليون يتصورون الله (يهوا) كما كانوا يسمونه، فى صورة بشرية يأكل ويشرب ويفتك بأعدائه ولا نقرأ عن الإله المنزه المجرد عن التشبيه والصفات شيئا إلا على لسان أنبياء متأخرين مثل أشعيا. ولم تترسخ الوحدانية التى دعى إليها موسى عليه السلام إلا بعد بعث عشـرات الأنبياء

الذين لقوا حتفهم قتلاً واضطهاداً ولا نجد أمة حفلت بهذا العدد من الأنبياء الذين أرسلوا إلى بنى إسرائيل .

المسيحية:

كان اليهود يترقبون المسيح المنتظر حيث كان أنبيائهم قد بشروا به ووصفوه بالرحمة والحنان فكان ميلاد السيد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام معجزة فى حد ذاته حيث ولد بلا أب؛ إذ لم تتزوج أمه السيدة مريم أبداً فولد بمعجزة إلهية، وكبر الطفل وأصبح نبياً بعثه الله سبحانه وتعالى فوجد نفسه وسط قوم يعيشون فى غلظة حسية مادية فركز دعوته على الحب والعفو والتسامح ودعوة الناس إلى عبادة الله الواحد الأحد .

ومن أقواله المأثورة: (أحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك)، (أحبوا أعدائكم وباركوا لاعنيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم).

ولم يشهد التاريخ قبل السيد المسيح رسولاً رفع الضمير الإنساني كما رفعه ورد إليه العقيدة كلها كما ردها اليه، وكان يؤكد أن الطهر كل الطهر فى نقاء الضمير .

وكان يقول (وماذا ينفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه، وماذا يعطى الإنسان فداء عن نفسه). فجانب الضمير هو الجانب الذى توجهت إليه رسالة السيد المسيح ورعاية الله لروح الإنسان هي الملاذ الذى رأى الناس منصرفين عنه فعاد بهم إليه وعلمهم أن الله محبة وأن أقرب الناس إلى الله من أحب الله وأحب خلق الله .

وكان يقول عن نفسه (أنا ابن الإنسان، أنا خبز الحياة، أنا الراعى الصالح) .

وفى إنجيل لوقا الإصحاح الرابع يخاطب إبليس قائلا (اذهب يا شيطان

إنه مكتوب للرب إلهك تسجد وإياه وحده تعبد)، رافضاً طاعة الشيطان ومعلناً طاعته وسجوده لله وحده .

مرة أخرى نحن أمام موحد عظيم وديانة عظيمة ولكن تدوين أقوال وتعاليم السيد المسيح عليه السلام تأخر أكثر من سبعين سنة.

وينشب الخلاف والانقسام حول ما ورد فى الأناجيل عن الأب والابن والروح القدس وحول ما كتب بولس عن المسيح بأنه ربنا ومخلصنا وهو لم يعاصر السيد المسيح بل جاء بعده بعشرات السنين.

وتظهر مدرسة (أريوس) لتقول بأن المسيح بشر اختاره الله ليكون نبياً وأوحى إليه وأيده بمعجزاته وأنه ليس ربا ولا إلهاً .

وتظهر مدرسة (نسطور) لتقول بأن للمسيح طبيعة إلهية وأن الله حال فيه وتتفرع المذاهب والكنائس والمجامع وتتعدد الآراء هـل المسيح هو الكلمة أو هو الابن؟ وعن من صدر الروح القدس عن الأب أم عن الابن؟ فتقرر الكنيسة الشرقية بأن الروح القدس صدر عن الأب وحده وتقرر الكنيسة الغربية بأنه صدر عن الأب والابن معاً .

ويقول الكل بوحدانية الله برغم قولهم بثالوث الأقانيم الأب والابن والروح القدس فهم يعتبرونه ثلاثة في واحد وهذا تناقض واضح.

الإسلام :

مضى على مولد السيد المسيح عليه السلام نحو ستة قرون قبل ظهور الإسلام تشعبت خلالها المذاهب المسيحية كما سبق، بين قائل بطبيعة واحدة للسيد المسيح وهى الطبيعة البشرية وقائل بطبيعتين اثنتين هما الطبيعة البشرية والطبيعة الإلهية .

وتسربت هذه المذاهب جميعاً إلى الجزيرة العربية مقرونة بالبراهين الجدلية التى يستدل بها كل فريق على صحـة تفسيـره وبطـلان تفسيـر

معارضيه، وكان كثير من تلك البراهين مستمداً من مذاهب حكماء اليونان.

وكذلك تسربت مذاهب اليهودية قبل ذلك إلى الجزيرة العربية .

ولم يتلق العرب المسيحية من مصدر واحد فقط فقد تلقوها أيضاً من بلاد الحبشة حيث كانت فيها مسيحية ممزوجة بالوثنية وعبادة الاصنام التى تخلقت من عقائدها الأولى، وكذلك كان يهود الحبشة على شيء من الوثنية .

وكانت شبه جزيرة العرب على اتصال لا ينقطع بالفرس ومن جاورهم من أمم المشرق فتسرب إليها أيضا بعض من مذاهب وديانات هذه الأمم من عبادة النار والكواكب.

ودان قليل من العرب بهذه الديانات على أوضاعها الكثيرة التى يندر فيها الإيمان بالوحدانية الخالصة وعقيدة التنزيه والتجريد.

أما الأكثرون منهم فكانوا يعبدون الأسلاف فى صورة الأصنام والحجارة المقدسة وكانوا يعترفون بوجود الله سبحانه وتعالى ويقولون أنهم يعبدون الأصنام ليتقربوا بها إلى الله .

وفى عام ٥٧٠ بعد الميلاد ولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام فى مدينة مكة وهى تقع فى غرب شبه الجزيرة العربية وكان أمياً إذ لم يتعلم القراءة والكتابة طوال حياته، واشتهر بين قومه بالأمانة وحسن الخلق إلى أن بعثه الله سبحانه وتعالى بالإسلام ليكون بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه.

فلما ظهر الإسلام كان عليه أن يصحح أفكاراً كثيراً لا فكرة واحدة عن الذات الإلهية وكان عليه أن يجرد الفكرة الإلهية من أخلاط شتى من بقايا العبادات الأولى وزيادات المتنازعين والمختلفين فى تأويل الديانات السماوية السابقة له .

فالفكرة الإلهية فى الإسلام فكرة تامة متكاملة لا يتغلب فيها جانب على جانب ولا تسمح بعارض من عوارض الشرك والمشابهة ولا تجعل لله سبحانه وتعالى مثيلاً ولا شبيهاً بل له المثل الأعلى والأوحد .

قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى آية: ١١) .

ويرفض الإسلام الأصنام على كل وضع من أوضاع التمثيل أو الرمز أو التقريب ولله سبحانه وتعالى صفات الكمال جميعاً وله الأسماء الحسنى بما يحفظ له وحدانيته وتفرده وكماله فلا تغلب فيه صفات القوة والقدرة على صفات الرحمة والمحبة ولا تغلب فيه صفات الرحمة والمحبة على صفات القوة والقدرة .

قال تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴾ (سورة الإخلاص الآيات: ١ - ٤) .

وليس الله فى الإسلام مصدر النظام وكفى ولا مصدر الحركة الأولى وكفى بل هو خالق وموجد كل شيء. فكانت الفكرة عن الله فى الإسلام هى الفكرة المتممة والمصححة لأفكار كثيرة موزعة فى عقائد ومذاهب كثيرة قبله.

ومصادر التشريع فى الإسلام هى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ومع ذلك فباب الاجتهاد مفتوح فى الإسلام فقد دعى إليه الإسلام وحض عليه شرط أن يكون اجتهاداً حميداً لا يخرج عن العقيدة ولا يخرج عن مضمون القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، بل يكون موضحاً لهما وداعياً إليهما ومرتبطاً بهما فى كل ما يستجد فى حياة الإنسان طبقاً لظروفه وحياته.

فالقرآن الكريم هو الكتاب الذى أنزله الله سبحانه وتعالى على سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام وهو يعتبر فى حد ذاته معجزة من المعجزات حيث إن لفظه ومعناه من عند الله عز وجـــل وأول سورة نجدها مكتوبة فى

القرآن الكريم هى سورة الفاتحة وهى بمثابة المقدمة لهذا الكتاب العظيم والتى توضح وترسى الأساس الذى يقوم عليه الدين وهو مفهوم الاستقامة.

قال تعالى : ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾ (سورة الفاتحة آية : ٦) .

إذاً فالاستقامة هى المنهج والطريق الذى علينا أن نسلكه ونتبعه ونتحلى به ونستخدمه فى كل جوانب حياتنا فليست العبرة فقط بأن يكون الإنسان مسلماً بالاسم ولكن الأساس هو أن يكون مستقيماً بالمعنى الصحيح والشامل لكلمة الاستقامة. والاسلام بكل فروضه وأركانه وأوامره ونواهيه يؤكد ويحافظ على مفهومه الأساسى وهو الاستقامة.

والله سبحانه وتعالى يرّسخ هذا المفهوم فى كثير من الآيات القرآنية، منها على سبيل المثال:-

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ (سورة الأحقاف آية: ١٣) .

﴿ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ (سورة آل عمران آية: ٥١) .

حيث نجد هنا أن الإيمان مقترن بالاستقامة .

﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ (سورة آل عمران آية : ١٠١) .

﴿ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيماً قَدْ فَصَّلْنَا الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (سورة الأنعام آية : ١٢٦) .

﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة الأنعام آية: ١٦١) .

وهكذا يدعونا الله عز وجل إلى الاستقامة كتقديم وتعريف بسيط لطبيعة

وروح الإسلام ليجعل منه الطريق والمنهج الأقيم والأفضل والأحق؛ لأنه يربطنا ويحفظ لنا الصلة مع الله سبحانه وتعالى أعظم وأقيم قيمة فى هذا الوجود، بل هو الذى أوجد كل القيم فى هذا الوجود ولا يوجد له شبيه ولا نظير فقيمته قيمة محايدة حيادا مطلقا ومجردة ومنزهة عن التشبيه والتمثيل.

وأى شىء آخر فى هذا الوجود تبهرنا قيمته لا شك أنه أقل قيمة من الذى خلقه وأوجده وهو الله سبحانه وتعالى .

ونجد أيضا فى السنة النبوية المطهرة وهى المصدر الثانى للتشريع الإسلامى حديثاً جامعاً مانعاً لفحوى وطبيعة الإسلام ويعتبر بمثابة تعريف وتقديم له أيضاً فقد جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه وسلم وقال له: يا رسول الله دلنى على شىء فى الإسلام لا أسأل عنه أحداً بعدك فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (قل آمنت بالله ثم استقم) (مسند الإمام أحمد عن عبد الله بن سفيان عن أبيه) .

وهنا نجد أن الرسول صلى الله عليه وسلم حينما أراد أن يقول فى الإسلام قولاً جامعاً مانعاً دعى إلى الاستقامة حيث إن الاستقامة هى التى تعبر عن الإيمان الحقيقى.

وختم الله سبحانه وتعالى الديانات السماوية المنزلة من عنده عز وجل بالاسلام وختم انبيائه ورسله بمحمد صلى الله عليه وسلم .

والإسلام على هذا النحو لا يعتبر ديناً جديداً فلم يزعم النبى محمد صلى الله عليه وسلم أبداً أنه أتى بدين جديد أو عقيدة جديدة ولكنه ذكر البشرية بالدين الأساسى الذى عرفه آدم عليه السلام ودعى إليه فهو أول الأنبياء وأول البشر جميعا .

قال تعالى : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنَ الرُّسُلِ﴾ (سورة الأحقاف آية: ٩) .

قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً ﴾ (سورة الأعراف آية: ١٥٨) .

إذاً فهو الدين الأول والرسالة الخاتمة المرسلة إلى الناس كافة، والإسلام بمفهوم الاستقامة يعتبر غلافاً احتوائياً وحيوياً تتبلور فيه كل أهداف الرسالات والمجهودات السابقة ويستجاب فيه لنداء الفطرة منذ البداية.

قال تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم آية: ٣٠) .

والقرآن الكريم وتوجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم يمثلان المعين الوافى والزاد الكافى الذى إذا أحسن فهمها والتعامل معهما يكفيان البشرية فى تحقيق الصلة مع الله سبحانه وتعالى وعبادته على الوجه الصحيح، وأيضاً يقدمان المساعدة والمساهمة فى الكشف عن الحقائق المختلفة وحل المشاكل المعرفية له مهما استجد له من ظروف أو مرت به تغيرات .

حيث إن العلاقة والصلة مع الصانع لا شك أنها تساعد في معرفة وإدراك ما صنعه والله سبحانه وتعالى هو طبعا الخالق والصانع لهذا الوجود.

قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً ﴾ (سورة المائدة آية: ٣) .

ولكن للأسف لم يسلم الإسلام منذ عهوده الأولى وإلى الآن من التشويهات والانحرافات والانقسامات التى ألحقها به بعض المتطرفين والمغالين والمغرضين والجاهلين، الذين اجتهدوا فيه اجتهادا خبيثاً مغرضاً غير مستقيماً فأبعدوه عن طبيعته ومفهومه وفحواه وهويته الأساسية وهى الاستقامة من أجل الحفاظ على التواصل والصلة المستمرة والخالصة مع أعظم وأسمى قيمة فى هذا الوجود وهو الله سبحانه وتعالى ليشعر الإنسان دائماً ان لحياته معنى ولوجوده هدفا .

ما هـــو الدين؟

قبل أن نحاول أن نصيغ تعريفاً عاماً وشاملاً للدين نستعرض بعض الملامح الخاصة بالمهمة الدينية ككل والتى يمكن أن نستشفها من خلال علاقة الإنسان بكلمة الدين ودخولها فى قاموس حياته كما سبق.

الدين يحتوى على عقيدة معيّنة:

فقد ارتقى الإنسان فى العقائد كما ارتقى فى العلوم والمعارف والصناعات وكانت عقائده الأولى مقابلة لحياته الأولى فى بساطتها وكذلك كانت علومه ومعارفه وصناعاته، وطبعاً محاولات الإنسان فى سبيل العقيدة أشق مطلباً وأطول طريقا وأصعب منالاً من محاولاته فى سبيل العلوم والمعارف والصناعات المختلفة فكل منا له عقائده ومحاولاته فى هذا المجال على اختلاف درجاتها ومستوياتها.

فنحن نؤمن مثلاً ونعتقد أنه لا نجاح بدون مذاكرة واجتهاد ونؤمن ونعتقد أنه لا شفاء لمريض بدون علاج وذلك حسب طبيعة ونوع مرضه ولكن العقيدة الدينية هنا والتى يتلمسها الإنسان منذ القدم ليست عقيدة على المستوى الشخصى أو الخاص بأمر معيّن مؤقت فقط. ولكنها العقيدة على مستوى الوجود ككل وليس هذا فحسب بل لابد أن يتأكد الإنسان أن عقيدته صحيحة وتصلح حقاً لأن تلعب دور العقيدة كما ينبغى حيث لا يكفى أن يسلم الإنسان بأى شىء دونما وجود مبرر يرضيه ويحاصر كل الشكوك التى يمكن أن تنشأ بداخله كإنسان يفكر ويشعر ويتأمل ويحلل ويقبل ويرفض.

أى أن العقيدة تمثل حجر الزاوية بالنسبـــة للدين وهى الأساس الذى يبنى عليه الدين وهى المفسر والمعلل للمهمة الدينية ككل .

الدين يرتبط بمنهج معيّن:

فعندما يتمكن الإنسان من تكوين عقيدة معينة ويقتنع بشكل أو بآخر أنها عقيدة صحيحة يجد نفسه مطالباً بالخطوة التالية حيث إنه وضع الأساس فقط ولابد أن يكمل البناء، وهذا يكون من خلال اتباع طريقة معينة ومنهج معين يحفظ له الصلة مع هذه العقيدة التى كونها فهو بعد أن أصبح له عقيدة معينة لا يمكنه أن يمارس كل أنشطته المختلفة بشكل عشوائى بل لا بد أن يتحكم فيها ويوجهها باستمرار بالشكل الذى يضمن له الصلة مع العقيدة التى اعتقدها ليشعر بالنجاح والرضى .

الدين له علاقة بالأداء ككل:

هذا ما نلاحظه أيضاً عند الحديث عن خصائص المهمة الدينية فهي ترتبط بكل الأنشطة والأعمال التى يقوم بها الإنسان وتؤثر فى كل أداء يقوم به حيث إنه حينما يتخذ ديناً معيناً قد يحرم عليه هذا الدين أكل طعام معين مثلا أو الزواج من شخص معين، وقد يحلل له طعاماً آخر وأشياء أخرى ويحدد كيفية معرفة المخطئ من المصيب وكيفية تطبيق العقاب والجزاء المناسب له وحتى عمليات التجارة والبيع والشراء يمكن أن تقع تحت طائلة الدين، وهكذا فى أى نشاط وأداء يقوم به الإنسان حيث إن الأوامر والنواهى والتحليل والتحريم من أبرز سمات المهمة الدينية .

إذاً ومن خلال العرض السابق وجدنا أن الإنسان أدرك ومنذ البداية أنه بحاجة إلى أن يكون له عقيدة ومرجع وهدف احتوائي حيث لا يكفى أن يعمل ويؤدى ليشبع احتياج معين له ثم يعمل ويؤدى ليشبع احتياجا آخر ثم يعود ليعمل ويؤدى ليشبع نفس الاحتياج مرة أخرى وهكذا. فهو يريد العقيدة والهدف الذى يربط به أدائه وكل ما يقوم به من انشطة ويعمل من أجل الوصول إليه والتواصل المستمر معه .

وفى سبيل تحقيق هذا وجدنا أن البعض استوعب الديانات السماوية والتى تدعو الى الاعتقاد فى الله سبحانه وتعالى وتضع الأوامر والنواهى التى تحفظ للإنسان الصلة مع هذه العقيدة. والبعض لم يستجب لها بالرغم من انها بدأت مع الإنسان الأول وهو آدم عليه السلام وذلك لأسباب ودوافع كثيرة تكلمنا عن بعضها كما سبق . فلجأ إلى الاساطير واستخدم خياله فى فرض رمز معين يجعله مرجعاً وعقيدة له ووضع الطقوس الخاصة بالتقرب إليه .

ثم قرر أن يكون له أكثر من إله فصنع تماثيل وأصناماً عديدة وابتكر أيضا طقوساً معينة تساعده فى التقرب إليه ثم عاد ونبذ هذا على يد أناس مثل أخناتون فى مصر القديمة حيث دعا لأن يكون هناك إله واحد ومرجع واحد وهدف احتوائى واحد وأسماه (أتون) ووضع تعليماته وكلماته لكيفية التقرب منه ثم نجد هذا المرجع والعقيدة فى ديانة أخرى مثل الهندوسية يسمى بالبراهما وتكون الطريقة المتبعة للوصول إليه من خلال الصوم الطويل وتعذيب النفس .

وهكذا توالت الأديان والعقائد إلى أن وصلنا إلى الإسلام لنجد أنه يعلن ويؤكد مثل كل الديانات السماوية السابقة له والمنزلة من عند الله عز وجل أن العقيدة والمرجع والهدف الحقيقى يجب أن يكون هو الله سبحانه وتعالى ويبلور ويصيغ كل التوجيهات والتعليمات والأوامر والنواهى التى جاءت فى هذه الأديان من أجل الحفاظ على هذه العقيدة ومن أجل التواصل المستمر مع هذا الهدف وذلك من خلال فحواه ومنهجه وهو منهج الاستقامة وليؤكد لنا أننا حينما نتخذ الله سبحانه وتعالى عقيدة لنا ومحورا لأدائنا فنحن نتخذ أعظم قيمة فى الوجود ونصل إلى أعظم ما يمكن أن نصل إليه وهو الذى يستحق أن يكون هو المرجع والعقيدة والهدف بحق لأنه سبحانه وتعالى هو خالقنا وموجدنا.

والآن إذا ما حاولنا أن نستنبط معنى كلمة الدين وأن نجد تعريفاً لها يعبر عن طبيعتها وأيضاً عن وظيفتها فى حياتنا سوف نجد أن الدين كان دائماً وأبداً لصيق بكل نشاط وأداء يقوم به الإنسان، وأنه هو نفسه لا يعتبر نشاطاً وأداءً مستقلاً خاصاً يمارسه الإنسان بمعزل عن أى أداء أو نشاط آخر يقوم به ونجد أيضاً أن الإنسان كان لا بد له من استخدام شكل وأسلوب وطريقة معينة ليتمكن بواسطتها من توجيه أدائه وعمله ليضمن الوصول إلى عقيدته وهدفه .

ويمكن أن نتخيل هنا أيضا الإنسان الذى يسير فى صحراء دون أن يكون له هدف معين يريد أن يصل إليه فسنجد انه يؤدى أداء السير بشكل عشوائى، ولكن حينما يقرر أن يكون له هدف معين فماذا يحدث؟ الذى يحدث هو أنه يوجه ويخضع أداءه وسيره لطريقة معينة واتجاه معين ليضمن الوصول إلى هدفه .

وهذا ما فعله الإنسان حينما أراد أن يكون له عقيدة معينة وهدف معين حيث لجأ إلى اتباع طريقة معينة ومنهج معين ليستخدمه كاتجاه ليضمن له الحفاظ والوصول إلى هذه العقيدة وهذا الهدف.

إذاً يمكن القول إن ذلك الشىء المسمى بالأسلوب والطريقة والمنهج أى الاتجاه والذى لجأ إليه الإنسان على مر العصور هو الشىء المسمى بالدين حيث كلمة اتجاه هى الكلمة المرادفة لكلمة دين .

وطبقاً لهذا يمكن القول أن الدين هو اتجاه معيّن لتوجيه الأداء من أجل الوصول إلى هدف معيّن.

ويمكننا أن نستنتج أن الدين وعلى هذا النحو لا يعتبر أمراً قاصراً على الإنسان فقط بل يمكن أيضاً أن يكون لكل كائن نصيب فى هذه الكلمة حيث إن كل الكائنات تؤدى وتعمل ولا بد لها من اتجاه توجه به أداءها باستمرار.

وكما قال تعالى: ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ (سورة آل عمران آية: ٨٣) .

إذاً الإسلام وبالتالى الدين ليس قاصراً على الإنسان فقط .

وهكذا يمكن أن نقول الآن أن التعريف العام والشامل والذى يضع أيدينا على المعنى الحقيقى والعملى والمجرّد للدين هو كما يلى:

الدين هــو:

اتجاه معيّن لتوجيه أداء الكائن من أجل الوصول إلى هدف معيّن.



الدين والإدارة معاً



وبعد أن وضعنا أيدينا على المعنى الحقيقى والعملى والمجرّد من أى قيود لكلمة الإدارة وكلمة الدين حيث إنه لو حاول الإنسان أن يعرف ويفهم معنى شىء ما وهو مقيّد بأى قيد من القيود مثل قيد العادة والألفة أو المصلحة والمنفعة أو القهر أو أى قيد آخر، فسيجد نفسه مضطرا لأن يعرف ويفهم معنى هذا الشىء بما تمليه عليه طبيعة القيد الذى يتقيد به وليس بما تمليه عليه طبيعة الشىء نفسه.

فهل يمكن لنا الآن أن نحاول فهم العلاقة بينهما ...... ؟

الإدارة هى:

توجيه أداء الكائن من أجل الوصول إلى هدف معيّن من خلال اتجاه معيّن.

الدين هو:

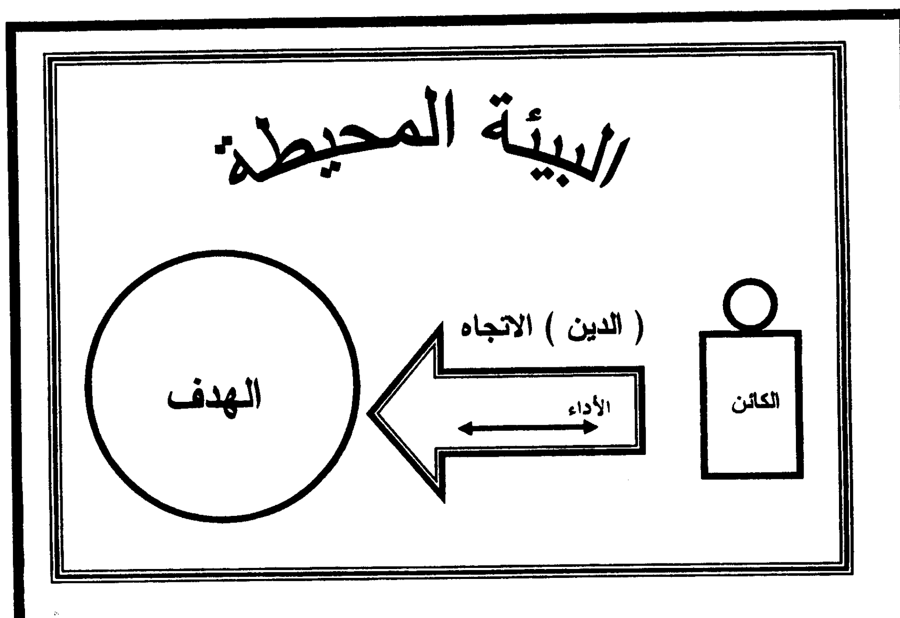
اتجاه معيّن لتوجيه أداء الكائن من أجل الوصول إلى هدف معيّن.

إذاً نجد أن العلاقة بين الدين والإدارة علاقة وثيقة وعلاقة حتمية وليست افتراضية أملتها الطبيعة والهوية الوجودية والعملية لكل منهما حيث إنه لا يوجد توجيه (إدارة) بدون اتجاه (دين) والاتجاه (الدين) لا يوجد له مبرر ولا أهمية إن لم يستخدم فى التوجيه (الإدارة) .

إذاً يمكننا أن نقول إن:

الدين هو: اتجاه معيّن للإدارة

ويمكن التعبير عن هذا من خلال النموذج التوضيحى الآتى :-



البيئة المحيطة / كل ما يحيط بالكائن من كائنات أخرى مادية أو غير مادية.

الكائن / الإنسان أو الدولة أو الشركة أو أى كائن.

الأداء / الأنشطة والأعمال التى يقوم بها الكائن فى أى مجال وفى أى مكان أو زمان.

الاتجاه/ الطريقة والمنهج الذى يستخدمه الكائن لإدارة (لتوجيه) أدائه وهو الدين.

الهدف / الغاية والمحور والعقيدة التى يريد الكائن الوصول إليها والتواصل معها.

أصبح من الواضح الآن أنه لا يمكن فصل مفهوم كلمة الدين، عن مفهوم كلمة الإدارة وأنهما مرتبطان معاً ارتباطاً وثيقاً ومستمراً.

ويمكن أن تتضح بعض ملامح حتمية وفائدة هذا الارتباط فى حياتنا كما يلى :-

معرفة الدين (الاتجاه) الصحيح والحقيقى:

حينما نضع نصب أعيننا أن الدين هو اتجاه معيّن للإدارة نجد أننا حينما نتخذ لنا اتجاهاً معيّناً أى ديناً معيّناً لنستخدمه فى توجيه أدائنا لكى نتمكن من الوصول إلى هدف معيّن وعقيدة معينة وطبعاً هذا الاتجاه سيكون مستلهم ومستمد من طبيعة الهدف والعقيدة التى يُتجه إليها، نجد أنه إذا كان هذا الهدف والعقيدة التى يدعو إليها هذا الاتجاه ويوصل لها هو الهدف والعقيدة الصحيحة والحقيقية والذى يعبر عن كل ما نصبو إليه ويحقق لنا من خلال التواصل معه كل ما نريده من نجاح وسعادة واستقرار وغير ذلك مما يحلم به أى كائن، إذا كان هذا الهدف كذلك يكون الاتجاه الموصل اليه هو الاتجاه (الدين) الصحيح والحقيقى.

وإذا كان هذا الهدف ليس هو الهدف الصحيح والحقيقى فيكون الاتجاه (الدين) غير صحيح وغير حقيقى أيضاً .

فعلي كل منا أن ينظر إلى هدفه وإلى عقيدته حيث يوجد من يتخذ المال هدفاً له أو السلطة أو الجنس أو المادة مثل دعاة الفكر المادى أو أى هدف آخر .

فيا ترى ما هو الهدف الأفضل والأحق ؟

كما سبق نجد أن الإسلام هو آخر الرسالات السماوية والمنزلة من عند الله عز وجل والذى أتي للإنسان بمفهومه الأساسى وهو الاستقامة والذى تكرر مراراً وتكراراً فى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة.

حيث إن الاستقامة هى الاتجاه للقيمة فإذا نظرنا إلى مفهوم القيمة نجد أنه يحمل فى طياته كل معانى السعادة والنجاح والاستقرار والعدل التى يحلم بها أى كائن فإن الأقيم هو الأفضل والأكثر فاعلية والأكثر ملائمة. وإذا سرنا فى طريق القيمة وتحرينا الأقيم باستمرار فلا شك أن هذا الطريق سيوصلنا فى النهاية إلى أقيم شيء فى الوجود وهو الله سبحانه وتعالى.

إذاً الاتجاه الذى يتخذ من مفهوم القيمة هدفاً له وأساساً له لا شك أنه هو الاتجاه الصحيح والحقيقى والموصل لكل ما نصبو إليه. وإذا اتجه الإنسان إلى هدف آخر غير الله لا شك أنه سيكون أقل عظمة وأقل قيمة من الله سبحانه وتعالى لأنه سيكون مخلوقاً من مخلوقات الله.

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى آية: ١١) .

وكل الأشياء المهمة لحياتنا والتى نتعامل معها على أنها أهداف هى فى واقع الأمر ليست أهدافاً بل هى وسائل تقربنا وتوصلنا إلى الهدف الأسمى والحقيقى وهو الله سبحانه وتعالى.

والإسلام بمفهوم الاستقامة يعلنها صريحة مدوية وبكل ثقة أنه لا يوجد دين (اتجاه) أقيم من هذا الدين.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة الأنعام آية: ١٦١) .

وقال أيضاً: ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ (سورة البينة آية: ٥) .

وهو أيضا الدين (الاتجاه) الطبيعى والميل الفطرى المعبر عن الطبيعة السليمة والفطرة السليمة لكل كائن حيث إنه لا يوجد كائن لا يريد القيمة ولا يريد أن يكون له صلة مع أعظم القيم وهو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى : ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (سورة الروم آية: ٣٠) .

وعلاقة الإنسان مع الإدارة تؤكد هذا حيث نجد أنه تبلور لديه مؤخراً مفهوم الجودة وأن الإدارة بنظام الجودة هى أفضل النظم وأكثرها احتوائية وشمولية، حيث إن الجودة تعتبر مفهوم معبر عن أية أهداف تتطلبها المنظمات وتعتبر هدفاً فى حد ذاتها وكل الأهداف الأخرى فى واقع الأمر ما هى إلا وسائل لتحقيق الجودة والقيمة حيث أصبح مؤخراً تعظيم قيمة المنظمة ككل أى جعلها متواصلة باستمرار مع أفضل القيم هو الهدف الذى تسعى إليه كل المنظمات.

وبالطبع مفهوم الجودة هو نفسه مفهوم القيمة حيث إن الأقيم هو الأفضل والأنسب والأكثر ملائمة والأكثر فعالية والأجود كذلك. إذاً نجد أن الإسلام بمفهوم الاستقامة يحوى فى داخله أيضاً مفهوم نظام الجودة والإدارة بالجودة.

حيث إن الاستقامة هى توجيه أداء الإنسان عموماً ليكون دائماً على صلة بأعظم القيم وهو الله سبحانه وتعالى وليس هذا داخل المسجد فقط أو عند القيام بعبادة معينة فقط بل فى كل أداء يقوم به الإنسان.

فالذى يعمل فى المصانع والشركات والمنظمات هو الإنسان أى إن أى شركة أو منظمة لا شك أنها تتمنى لو كان كل أفرادها مستقيمين ويطبقون منهج الاستقامة بحق، فهذا من شأنه أن يضمن لهم الجودة ويحفظ لهم نظامها ولن يكون هناك خوف أو قلق من ناحية الرقابة على الجودة لأن الرقيب هنا هو الله سبحانه وتعالى وكل إنسان يحافظ على عمله ويتقنه بدافع الحرص على الصلة مع الله سبحانه وتعالى أياً كان عمله وأداؤه وأياً كان موقعه ومسئوليته.

فكيف يكون الإنسان مستقيماً وعلى صلة بأعظم قيمة وهو الله سبحانه وتعالى - تلك القيمة المحايدة حياداً مطلقاً والمنزه تنزيهاً خالصاً - وهو يسرق مثلاً أو يختلس أو يرتشى أو يكذب أو يهمل فى أداء عمله والقيام بمسئولياته أو يتكاسل عن السعى الصحيح؟! لأنه فى حال ارتكابه لأى معصية أو خطيئة يكون فى حالة صلة مع الرغبة والهدف الذى ارتكب من أجله هذه المعصية أو الخطيئة وليس فى حالة صلة مع الله سبحانه وتعالى، وأن الله ليس هو هدفه أى ليس مستقيماً وإسلامه وإيمانه غير صحيح وغير حقيقى.

عن أبى هريرة رضى الله عنه أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال: (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن) (صحيح البخارى).

وبهذا يتحقق النجاح والسعادة والحياة الكريمة للإنسان .

هل عرفنا الآن أين يوجد الدين (الاتجاه) الصحيح و الحقيقى ولماذا؟

فهم وتطبيق الدين (الاتجاه):

القرآن الكريم هو المصدر التشريعى الأول للإسلام و إذا تأملنا القرآن الكريم نجد أنه يتكون من ١١٤ سورة وأن أول هذه السور هى سورة الفاتحة وهى بمثابة المقدمة لهذا الكتاب العظيم.

حيث إنه لو نظرنا إلى أى كتاب يكتبه مؤلف أو عالم ما يتكلم عن موضوع معين نجد أنه فى البدايه يكتب كلمة تكون بمثابة المقدمة لهذا الكتاب، حيث يقدم موضوعه بشكل مختصر ومشوق ليجعلنا نشعر بأهمية هذا الموضوع ومدى ارتباطه بحياتنا وفائدته لنا حتى يُكون لدينا الدافع لقراءة هذا الكتاب، ويساعدنا فى فهم ومعرفة ما يحتويه هذا الكتاب.

وهذا هو ما فعله الله سبحانه وتعالى عندما أنزل القرآن الكريم أعظم الكتب والمرجع الإسلامى الأول، حيث قدم لنا الدين وهو موضوع القرآن فى البداية من خلال سورة الفاتحة بالشكل الذى يجعلنا نشتاق لقراءة هذا الكتاب ونشعر بأهميته وبمدى ارتباطه الوثيق بحياتنا ووجودنا ويساعدنا فى فهم ومعرفة موضوع القرآن وهو الدين .

فمن لم يفهم ويستوعب المقدمة يكن من الصعب عليه أن يفهم ويستوعب الموضوع.

أى إنه إن لم نتمكن من فهم واستيعاب سورة الفاتحة لـــن نتمكن من فهم واستيعاب الدين عموما وبالتالى لن نتمكن من تطبيقه بالشكل الصحيح.

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تتكلم عن فضل وأهمية سورة الفاتحة كثيرة .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ (سورة الحجر آية: ٨٧) .

والمقصود بالسبع المثانى هى سورة الفاتحة .

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم لأبى سعيد: (لأعلمنك أعظم سورة فى القرآن قبل أن تخرج من المسجد وقرأ الحمد لله رب العالمين وهى السبع المثانى والقرآن العظيم الذى أوتيته) (صحيح البخارى).

والآن كيف يمكن أن يفيدنا التعامل مع الدين على النحو السابق فى فهم ومعرفة مقدمة القرآن وهى سورة الفاتحة؟

قال تعالى : ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (٢) الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ (٣) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (٤) إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ (٥) اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ (سورة الفاتحة) .

نجد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن بدأ السورة بالبسملة والحمد له سبحانه وتعالى، والتأكيد على أنه هو الرب لكل الموجودات في كل الأزمنة

والأمكنة وذكر صفتين من صفاته عز وجل، حيث إنه هو الرحمن الرحيم واسع المغفرة والرحمة وأكد أيضا على أنه المالك والمتصرف والحكم ليوم الدين وهو يوم الحساب والجزاء على مدى التمسك والحفاظ على الدين، والتأكيد كذلك على أن العبادة يجب أن تكون له وحده فقط وأن طلب الإعانة على أى شىء يجب أن يكون منه هو فقط.

يبدأ الكلام عن المفهوم الأساسى للدين وهو الاستقامة.

حيث قال تعالى: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ .

أى إن الله سبحانه وتعالى يدعونا لأن نطلب منه أن يهدينا ويرشدنا إلى الصراط المستقيم ويثبتنا عليه باستمرار .

والصراط المستقيم يعنى الطريق والمنهج أى الاتجاه والدين الذى يتصف بالاستقامة أى يتصف بأنه متجه للقيمة ومتحرى الأقيم .

وهنا يبرز سؤال مهم: هل يدعونا الله إليه وإلى الصلة معه أم إلى القيمة والصلة مع القيمة؟

والجواب أنه لا يوجد اختلاف بين طريق الله وطريق القيمة حيث إن الله سبحانه وتعالى هو أعظم وأقيم شىء فى الوجود وهو القيمة العظمى فى هذا الوجود، فإذا كان اتجاهنا حقاً وديننا حقاً هو الاستقامة أى إننا نتحرى القيمة ونتخذها هدفاً لنا فلا شك فى أن هذا سيقودنا إلى الله سبحانه وتعالى.

وكما سبق أن سورة الفاتحة بمثابة المقدمة للقرآن الكريم وللإسلام عموماً فنجد أن الله سبحانه وتعالى يقدم لنا الإسلام فى البداية على أنه الطريق الموصل للقيمة .. ومن منا يكره القيمة؟ وأيضا حتى لا يظهر الموضوع وكأنه يريد أن يفرض علينا أمراً لمجرد الفرض بل إن هذا الأمر هو حقاً ما نحتاجه ونريده ونبحث عنه .

وأيضاً هو يثق فى منهجه وفي دينه الذى ارتضاه لنا حيث إنه لا يوجد دين ولا اتجاه أقيم من هذا الدين لأنه الدين والاتجاه المتجه لأعظم قيمة فى الوجود وهو الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (سورة الأنعام آية: ١٦١) .

أما تفسير هذه الآية من خلال القول إن الصراط المستقيم هو الطريق الذى يرضى الله أو أنه هو الطريق الموصل للجنة أو أنه هو الطريق الواضح الذى لا اعوجاج فيه، تفسير صحيح ولكنه قاصر لا يشعرنا بفحوى الأمر ولب الموضوع ولا يوضح لنا لماذا استخدم الله لفظ استقامة بالذات. حيث إن قيمة الله هى القيمة العظمى التى لا يوجد لها شبيه ولا نظير فهى قيمة منزهة ومحايدة حياداً مطلقاً فى كل شىء.

قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ (سورة الشورى آية: ١١) .

وحتى كلمة مستقيم التى يمكن أن نصف بها إنساناً بعينه نجد أننا لا نطلق هذه الكلمة إلا على الشخص الذي نشعر أنه متواصل مع الحيادية والتجرد.

والخط المستقيم نفسه ما سمي مستقيما إلا استلهاماً من هذا المعنى لأنه الخط المحايد عن الاعوجاج يميناً أو يساراً أى إنه متواصل مع حيادية معينة وتجريدية معينة.

إذا فأصل مفهوم كلمة الاستقامة هو تحرى الأقيم حيث الاتجاه لتلك القيمة المحايدة حياداً مطلقاً فى كل شىء وهى أعظم القيم فى الوجود بل وأصل كل القيم وهى التى يمتلكها الله وحدة سبحانه وتعالى.

قال تعالى : ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ .

بعد أن أراد الله سبحانه وتعالى منا أن نطلب منه أن يهدينا ويرشدنا باستمرار إلى الصراط المستقيم وهو الطريق الموصل إليه سبحانه وتعالى، يخبرنا ويؤكد لنا أن هذا الصراط هو صراط المنعم عليهم أى إن الذين يسلكون هذا الصراط ويستخدمون هذا الاتجاه للتواصل معه سبحانه وتعالى باعتباره أعظم قيمة فى هذا الوجود.

هذا الأمر بالنسبة لهم ليس مجرد فرض من خالق وإله على عبيده ومخلوقاته بل إن هذا الاتجاه وهذه الصلة فى حد ذاتها تمثل نعمة كبيرة للإنسان ومغنماً كبيراً له .

إن الله سبحانه وتعالى يخاطب النفس البشرية واذا سألنا أنفسنا ما هو مطلب ومطمع كل نفس؟ سنجد أنه الاطمئنان والتوازن والاستقرار فلا يوجد أحد لا يريد أن تكون نفسه مطمئنة ومتوازنة ومستقرة .

ولو سألنا أعظم علماء النفس وأردنا منهم أن يعطونا تعريفاً لمعنى الاطمئنان أو التوازن أو الاستقرار لن يستطيع أحدهم فعل هذا.

كل ما سوف يقولونه إنها حالة محايدة وليست مقيدة بأى قيود تماماً مثل لون الماء مثلاً، فهل يمكن لأحد أن يتكلم عن لون الماء؟ كل ما يمكن أن يقوله إنه لون محايد .

إذاً النفس المطمئنة هى النفس المتواصلة مع حالة الاطمئنان وهى حالة محايدة .

والتواصل مع حالة الاطمئنان هذه يعتبر نعمة ومغنماً ومطلباً بالنسبة لكل النفوس.

وكما قال تعالى : ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (سورة الفجر آية: ٣٠) .

نجد أن الله سبحانه وتعالى قال: يا أيتها النفس المطمئنة ولم يقل: يا أيتها النفس فقط .

إذاً النفس المطمئنة فقط هى التى ترضى الله، إذاً هناك علاقة بين تواصل النفس مع الاطمئنان وهو الحالة المحايدة وإرضاء الله عز وجل، كيف نفهم هذا؟

الله سبحانه وتعالى كما سبق أن قلنا هو أعظم قيمة فى الوجود وهو قيمة مجردة ومنزهة عن أى تشبيه أو تمثيل أى محايدة حياداً مطلقاً.

وهكذا نجد أن النفس المتواصلة مع الاطمئنان فى السراء والضراء هى أيضاً تعتبر متواصلة مع الله سبحانه وتعالى باعتباره يمثل تلك القيمة والحالة المحايدة التى لا يمكن لأحد أن يصفها أو يعرفها .

ومن هنا كان التواصل مع الله سبحانه وتعالى يعتبر فى حد ذاته نعمة كبيرة ومطلباً ومغنماً لكل نفس فى الدنيا والآخرة.

وليس الإنسان يتواصل مع الله سبحانه وتعالى لكى يدخل الجنة فقط أو يبعد عن النار فقط فهذه رؤية قاصرة مبتورة ضعيفة فإن أعظم النعم فى الجنة هو أن التواصل مع الله سبحانه وتعالى يحدث فيها بدون منغصات، حيث لا يوجد فيها شياطين الإنس أو الجن ولا يوجد فيها انحرافات أو أخطاء ولا يوجد فيها تعب أو عناء أو مشقة أو حرمان من أى شىء أو خوف من حاكم ظالم أو من يوم غادر أو أى شىء يؤثر على علاقتنا بالله سبحانه وتعالى، فيكون الإنسان فى حالة تواصل دائم ومستمر مع الله سبحانه وتعالى وما أعظمه من هدف وما أسماها من غاية! وهذه هى النعمة العظمى والحقيقية، والبعد عنها والحرمان منها هو العذاب الأعظم والحرمان الحقيقى.

قال تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾.

وهنا نجد أن الله سبحانه وتعالى بعد أن أخبرنا أن الذين يسلكون الصراط المستقيم ويتخذون من الاستقامة اتجاهاً لهم ومنهجاً لهم ليكونوا مـــن أصحاب

النعيم ومن المنعمين عليهم يخبرنا أنهم إن لم يفعلوا هذا أى إن لم يكونوا من المنعم عليهم سيكونون من المغضوب عليهم أو من الضالين.

إذاً نجد هنا أن هناك ثلاث حالات يمكن أن يتصف بها الإنسان إذا ما أراد أن يعرف أنه على صواب وهدى أم لا وهى (المنعم عليهم، المغضوب عليهم، الضالين) ولكن لماذا يوجد ثلاث حالات؟

ولماذا لم يكتف الله بذكر حالتين فقط تشير إلى أن الإنسان على صواب أو خطأ أو لماذا لا يكون هناك أربع حالات أو خمس أو أكثر؟ نجد أن التفسيرات المختلفة لهذه الآية البعض منها يقول: إن المنعم عليهم هم المسلمون والمغضوب عليهم هم اليهود والضالين هم النصارى وهذا هو السر فى الثلاث حالات .

والبعض يقول: إن المغضوب عليهم هم اليهود ومن شابههم، علموا الحق وفقدوا العمل وإن الضالين هم النصارى ومن شابههم فقدوا العلم. وغيرها من التفسيرات التى لا تضع أيدينا على المعنى الحقيقى للآيات ولا تشعرنا بمدى التصاقها بحياتنا وأدائنا.

حيث إن القرآن الكريم نزل لهداية كل البشر وليس للمسلمين فقط فكل البشر يقعون تحت طائلة الخطاب القرآنى والقرآن نزل ليهدى الجميع وليس فئة معينة فقط.

فهب أنه يوجد شخص ليس من المسلمين ولا من اليهود ولا من النصارى بل إنه على الديانة البوذية أو أى ديانة أخرى أو ملحد لا يوجد له دين مطلقاً، وقرأ ذات مرة سورة الفاتحة من خلال هذه التفسيرات فهل سيشعر أن القرآن يخاطبه .

وهل سيتحقق الهدف من الخطاب القرآنى؟ وأن هذه التوجيهات تخص كل البشر؟ وأنهم جميعاً مطالبون بالتفاعل والتعامل مع هذه الآيات؟ طبعاً لا

يمكن ذلك، وبهذا نكون قد أفقدنا الآيات قيمتها وأضعفنا موقفها وتأثيرها.

وهب أيضا أن شخصا ما من اليهود أو من النصارى قرأ هذه الآيات من خلال هذه التفسيرات فماذا سيكون موقفه؟ سنجد أنه سيشعر أن هذا الكتاب يمجد أنصاره وأتباعه ويذم غيرهم، ولن يتحقق له المراد أساساً من القرآن لأنه أيضاً من البشر ويقع تحت طائلة الخطاب القرآنى وأنه يمكن أن يكون كبشر من المنعمين عليهم بشرط أن يتبع المنهج الذى يريده الله وهو الصراط المستقيم.

وليس هذا فقط ولكن هل كل المسلمين وكل من قال أنه مسلم أو وُلد ليجد نفسه من أسرة مسلمة فيكون دينه الإسلام هل كلهم من المنعم عليهم؟ أى هل لا يوجد مسلمون يمكن أن يغضب الله عليهم وهل لا يوجد مسلمون ضالون؟!

إذاً كيف نفهم هذه الآيات بالشكل الصحيح والعملى الذى يشعرنا بقيمتها ويحافظ لها على تأثيرها وفعاليتها ويوظفها التوظيف الصحيح كما أراد الله سبحانه وتعالى ؟

القرآن كما سبق نزل لهداية كل البشر ويتماشى مع طبيعة كل البشر ويخاطب كل البشر لأنه منزل من عند الله سبحانه وتعالى الذى خلق كل البشر والذى يعلم طبيعتهم وخصائصهم .

فإذا ما حاولنا أن نرى ماذا يفعل الإنسان حينما يؤدى عملاً ما وحينما يريد أن يصل إلى هدف ما فى أى مجال كبشر نجد أنه لا يوجد أمامه إلا ثلاث حالات بحكم طبيعته البشرية فى الأداء.

إما أنه يؤدى العمل بالشكل الصحيح أو أنه يؤدى بشكل خاطئ أو أنه لا يؤدى العمل أساساً .

وإذا أراد أن يسلك طريقا ما ليصل إلى منطقة معينة إما أنه يسير فى الطريق الصحيح الموصل لهذه المنطقة أو أنه يسير فى طريق خاطئ أو أنه يقف مكانه تائها ضالا لا يعرف له طريقاً ولا اتجاهاً . حتى حينما يحل الطالب مسألة حسابية، عملية جمع أو طرح مثلاً نجده إما أن يكتب الإجابة الصحيحة أو يكتب إجابة خاطئة أو لا يكتب أى إجابة ويترك مكان الإجابة فارغاً .

فهذه هي الحالات الثلاث البشرية الطبيعية التى يجد الإنسان نفسه كبشر يمكن أن يتصف بإحداها حينما يؤدى أداء ما ويعمل عمل ما. نفس الشيء نجده حينما يريد الإنسان أن يختار له ديناً واتجاهاً ليوجه به أداءه وليدير به كل ما يخص شئون حياته وعمله ووجوده.

فإما أنه سيختار ويسلك الاتجاه الصحيح فيكون من المنعم عليهم، أو أنه سيسلك ويختار اتجاها خاطئا فيكون من المغضوب عليهم، أو أنه سيقف حائرا ضالاً تائهاً لا يعرف له ديناً ولا إلهاً فيكون من الضالين المتشككين.

فمن يختار الإسلام ويطبقه التطبيق الصحيح ويفهم ويعى مفهوم الاستقامة الذى هو أساس الإسلام أى من كان الصراط المستقيم هو منهجه واتجاهه يكون على صواب ويكون من المنعم عليهم .

ومن يختار اتجاهاً آخر غير الصراط المستقيم أى غير الإسلام يكون على خطأ أى من المغضوب عليهم أياً كان اتجاهه وأيا كان دينه.

ومن يقف حائراً متشككاً ضالاً تائهاً ليس له أى اتجاه أو دين محدد يكون من الضالين .

وهذا الخطاب لكل البشر في أى مكان وفى أى زمان، ليشعروا جميعا أن الخطاب القرآنى موجه لهم جميعاً وأنهم جميعاً مطالبون به، وأنه منزل من عند الإله الحقيقى الذى خلقهم ويعرف طبيعتهم في كل شيء .

وهنا توجد نقطة تجدر الإشارة إليها؛ وهي أن الله سبحانه وتعالى حينما تكلم عن المنعم عليهم والذين هم على صواب ذكر طبيعة وصفة المنهج الذى يجعل الإنسان من المنعم عليهم وهو الصراط المستقيم، ولكن لماذا لم يذكر لنا الله تعالى صفة المنهج الخاطئ الذى من يسلكه يعتبر من المغضوب عليهم؟

والرد على هذا يكون بأن الصراط المستقيم هو الاتجاه المتجه لله سبحانه وتعالى باعتباره أعظم قيمة في هذا الوجود، وهو الإله الواحد الذى لا شريك له ولا يوجد إله غيره .

وإذا لم نتجه لله الواحد فمعنى هذا أننا إما أن نكون قد اتجهنا لغيره وجعلناه إلهاً لنا أو لم نتجه لأى إله.

وأي شيء موجود غير الله سبحانه وتعالى لا شك أنه مخلوق من مخلوقات الله، ومخلوقات الله لا نهاية لها لأنه سبحانه وتعالى غير مقيد بأى قيود ومطلق القدرة فى الخلق وفي كل شيء.

ولهذا لا يمكن أن يذكر الله سبحانه وتعالى كل المناهج الخاطئة لأنها لا حصر لها ولكنه يذكر المنهج الواحد الصحيح والحقيقي لأن طريق الحق واحد وطريق الصواب واحد حيث إن الحق هو الله سبحانه وتعالى والله واحد لا شريك له.

وبالتالى هو يعلّمنا المنهج الواحد والصحيح والحقيقي والأساسي، وأى منهج أو اتجاه غير ذلك يكون اتجاهاً إلى غير الله ويكون اتجاهاً خاطئاً .

وطبعاً الله سبحانه وتعالى يريد كل البشر أن يكونوا من المنعم عليهم وليسوا من المغضوب عليهم أو الضالين .

ونأتى إلى نقطة أخيرة وهى أنه لماذا ذكر الله الضالين بعد المغضوب عليهم؟ ولماذا لم يقل غير الضالين ولا المغضوب عليهم؟

هذا يؤكد تسلسل البناء المنطقى والمحكم للقرآن الكريم وأنه من لدن حكيم عليم وأنه يعرف كيف يغزو عقولنا ونفوسنا لأنه هو خالقها.

وإذا تساءلنا أيهما أعظم إثماً : ارتكاب وفعل الخطأ (المغضوب عليهم) أم عدم فعل الخطأ وعدم فعل الصواب أيضا (الضالين)؟ نجد أن عدم فعل الخطأ وعدم فعل الصواب أخف إثماً وذنباً من فعل الخطأ والإصرار عليه .

وطبعاً الله سبحانه وتعالى لا يريد للبشر إلا الخير والنجاح، فقد يتصور البعض أنه ما لم يصبح من المغضوب عليهم أى أنه ما لم يكن اتجاهه خاطئاً فهو يكون فى مأمن، وهذا بالطبع تصور خاطئ ولا يقبل به الله حيث ينهانا الله سبحانه وتعالى عن فعل الخطأ وأيضاً عن عدم فعل الصواب الذى هو أخف إثماً من فعل الخطأ ولكن حتى هذا لا يقبله الله ولا يريده لنا وينهانا عنه ويعتبر أيضاً إثماً وذنباً .

فهو يريدنا جميعاً أن نكون من المنعم عليهم ومن الذين هم على صواب وحق ولا يريدنا أن نكون من الذين فعلوا الخطأ أو حتى من الذين لم يفعلوا الخطأ ولكنهم لم يفعلوا الصواب أيضا ولهذا ذكر الضالين بعد المغضوب عليهم .

هل عرفنا الآن أهمية الفهم والتطبيق الصحيح والعملى لسورة الفاتحة مقدمة القرآن الكريم وأم الكتاب الذى هو أساس الإسلام والمصدر التشريعي الأول له؟

التفعيل والحفاظ المستمر على الدين (الاتجاه):

عرفنا أن الإسلام بمفهومه الأساسى وهو الاستقامة يمثل الاتجاه والدين الصحيح والحقيقى الذى يجب أن يسلكه كل إنسان ويتخذه منهجاً له ويفهمه ويطبقه بالشكل الصحيح والفعال.

والإسلام هو آخر الرسالات السماوية المنزلة من عند الله وإنه لا يعتبر ديناً جديداً ومختلفاً بل هو تأكيد وتوضيح وبلورة وصياغة لكل الرسالات السماوية السابقة له والمنزلة من عند الله عز وجل .

حيث إنها جميعاً تدعو إلى التوحيد والاستسلام والانقياد والصلة المستمرة مع الله سبحانه وتعالى أعظم قيمة فى هذا الوجود.

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ (سورة الشورى آية: ١٣) .

فقد راعى الله سبحانه وتعالى التطور البشرى الذى مر به الإنسان عبر التاريخ وذلك لأن التطور سمة من سمات الطبيعة البشرية وليس سمة من سمات كل الكائنات .

فالحيوانات مثلا نجد أن سلوكياتها وطريقتها في الحياة لم تتغير منذ ملايين السنين وإلى الآن .

ولكن الإنسان بطبيعته يتطور وتختلف سلوكياته وطريقة أدائه من عصر إلى عصر باختلاف ما يحصله من علوم وما يجنيه من معارف لأنه كائن مفكر وحر ومسئول.

فقدم الله عز وجل دينه بأشكال وطرق متجددة مراعاة لهذا التطور حتى يتم استيعاب الإنسان لما هو مطلوب منه طبقاً لدرجة تطوره فى الأداء .

فالدين فى النهاية ليس هدفاً وإنما هو وسيلة فكل ما يريده الله هو أن نؤمن به ونعبده وحده ونتواصل معه بشكل صحيح ومستمر مستخدمين الدين كوسيلة لتحقيق هذا الهدف.

ولكن تطور الرسالات السماوية على هذا النحو لا يعنى أن هناك اختلافاً

بينها ولكن الاختلاف فقط هو فى الشكل وليس فى المضمون حيث إن مضمونها جميعاً هو العقيدة والإيمان بالله الواحد الأحد.

والعقيدة لا تتطور ولا تختلف وليست بحاجة إلى أى تطور أو تغيير لأنها قائمة على الله سبحانه وتعالى، وهو ثابت لا يتغير ولا يتبدل ولا يختلف من جيل إلى جيل أو من عصر إلى عصر مهما حصل هناك تطور أو تغير .

ولكن طريقة عرض المنهج والأسلوب فقط هو الذى بحاجة إلى تطوير وارتقاء وتجديد وليس مضمونه وذلك ليتماشى مع التطور والارتقاء الذى يحدث من جيل إلى جيل ومن عصر إلى عصر.

وهذا ما حدث فعلاً على يد الأنبياء والمرسلين عليهم جميعاً صلوات الله وسلامه .

وهنا قد يقول قائل: إن التطور البشرى فى الأداء ما زال مستمراً ولن يتوقف لأن الطبيعة البشرية ما زالت هى نفسها، فلماذا لم يرسل الله عز وجل رسالات أخرى وأنبياء آخرين؟

ولن يقول هذا إلا من لم يفهم طبيعة الإسلام حيث إن الإسلام بكتابه القرآن الكريم وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وبمفهوم الاستقامة الذى تبلور فيهما، نجد أنه صالح للتطبيق فى كل مكان وزمان وقادر على الصمود والعطاء بلا حدود واحتواء كل ما يحدث للإنسان من تطور مستمر في أدائه.

لأن القرآن الكريم فى حد ذاته هو معجزة الإسلام الحقيقية والفعالة والمؤثرة حيث إن الإسلام لم يأت بمعجزة وقتية للناس الموجودين وقت حدوثها وكفى، مثل عصا سيدنا موسى عليه السلام وهى إحدى معجزاته كما هــو معروف؛ بل إن القرآن الكريم هو معجزة دائمة يمكنها أن تحتوى

أى تطور يمكن أن يمر به الإنسان ويمكنها أن تبهر وتقنع أى عقل فى أى مكان وأى زمان، فهو ليس مجرد تعليمات أو نصائح وقتية ولكنه هو نفسه معجزة فى جمله وآياته ومعانيه وأسلوبه وألفاظه ومعلوماته وشموليته حيث إن لفظه ومعناه من عند الله عز وجل، ولهذا هو بحاجة دائمة إلى فهم وتفسير وتأمل واكتشاف مستمر حتى يكون دائماً فعالاً ومؤثراً ويؤتى ثماره.

وهذا يلقى بدوره مسئولية كبيرة على الإنسان حيث إنه يجب أن يتحلى دائماً بروح طالب العلم والمعرفة قبل أن يشتكى ويتأفف ويجادل فى الباطل بغير علم .

وهذا هو أول فروض وتوجيهات الإسلام حيث إن أول كلمة نزلت فى القرآن الكريم هى " اقْرأْ " (سورة العلق آية: ١) .

وبهذا يكون استكمال مسيرة التطوير التجديدى فى الدين وذلك لأن التطور الذى حدث فى الدين من خلال تعاقب الرسالات السماوية المنزلة من عند الله عز وجل لم يكن تطوراً إحلالياً أبداً، فإن الله سبحانه وتعالى لم يحل ديناً محل آخر ولا يوجد دين مستقل ومختلف عن الآخر ولكنه كان تطويراً تجديدياً وليس إحلالياً حيث إنه هو نفس الدين ولكنه يقدم بشكل جديد يتماشى مع ما يستجد من ظروف طبقاً للتطور الأدائى الذى يمر به الإنسان.

وبالتالى تكون مهمة استكمال مسيرة هذا التطوير التجديدى بعد الإسلام تقع على عاتق العلماء والمفكرين الذيــن يجتهــدون اجتهادا حميداً لا يخرج عن إطار القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة ويحافظون على المفهوم الأساسى للدين وهو الاستقامة .

وليس الأمر بحاجة إلى أن يرسل الله سبحانه وتعالى أنبياء ورسلاً آخرين .

وهذا التطوير التجديدي وليس الإحلالى اللازم والضرورى فى الدين يندرج تحت بند الاجتهاد وهو أمر دعى إليه الإسلام وحض عليه، وكما هو معروف أن الرسول عليه الصلاة والسلام حينما بعث أحد اصحابه وهو (معاذ بن جبل) رضى الله عنه إلى اليمن سأله عن المنهج الذى سيتبعه فى حل ما يعرض ويستجد له من مشاكل وأمور، فقال معاذ: (أحكم بكتاب الله فإن لم أجد فبسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فإن لم أجد اجتهد برأيى ولا آلو) فوافقه النبى صلى الله عليه وسلم .

وليس معنى قول معاذ: (إن لم أجد) أنه يوجد أمور وأشياء تخص حياتنا لم يتعرض لها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم أو لم يتعرض لها الرسول عليه الصلاة والسلام؛ ولكن المقصود هو عدم ذكر الأمر أو المشكلة بشكل مباشر وصريح حيث إن كل الأمور مجملة وكل الثوابت موجودة وما يحدث فقط هو محاولة تفصيل المجمل والقياس على الثابت طبقاً لطبيعة الأمر أو المشكلة التى تستجد فى حياة الإنسان والتى هى بطبيعة الحال متجددة ومتنوعة وعديدة لا حصر لها .

وبهذا نجد أن الحفاظ على الدين وعمل الصيانة المستمرة اللازمة له لا يكون إلا بالفهم الدائم والمتجدد له لإعادة اكتشافه باستمرار والحفاظ على تأثيره وفعاليته والإقرار والتذكير المستمر بفحواه وطبيعته وبمدى أهميته لنا والتصاقه بحياتنا ووجودنا.

وحينما نتعامل مع الدين على أنه اتجاه للإدارة حيث إن الإدارة كما سبق هى توجيه أداء الكائن من أجل الوصول إلى هدف معين ، نجد أنه يمكن أن يساعدنا هذا المفهوم فى تحقيق هذا الغرض؛ لأنه سيكون هـــو الاتجاه الذى

يجب علينا أن نستخدمه دائماً فى توجيه أدائنا وذلك لأى أداء نقوم به سواء كان مادياً أو غير مادى ونحن فى المسجـــد أو فى المصنع أو فى المكتب أو فى المنزل أو فى الشارع أو في أي مكان أو زمان حتى نكون دائماً وأبداً على صلة مستمرة مع أعظم وأقيم ما يمكن أن نجعله هدفاً لنا وهو الله سبحانه وتعالى وذلك مهما تقدم أداؤنا أو تغيرت ظروفنا .

خاتمـــة

بعد هذه الرحلة التى أبحرنا خلالها فى محيط كلمة الإدارة وكلمة الدين اتضح لنا أنه لا يمكن بأى حال من الأحوال أن نفصل بينهما، حيث إنهما مرتبطان معا ارتباطاً وثيقاً بحكم طبيعة ومفهوم وهوية كل منهما.

فلا يوجد إدارة (توجيه) بدون دين (اتجاه) ولا يوجد دين (اتجاه) بدون إدارة (توجيه) .

ولكن للأسف وعلى مر الزمن فقد الدين بالنسبة لنا نجوميته كأساس للأداء وكمعين لا ينضب للنجاحات العملية وكإطار شامل يقوى ويستطيع أن يحتوى كل جوانب حياتنا وطموحاتنا، ويقودنا جميعاً على اختلاف أعمالنا ومواهبنا وقدراتنا إلى تحقيق كل ما نصبو إليه .

وأصبح التعامل معه على أنه أمر شبه أسطورى أو خاص بأمور غيبية وروحانية أو خاص بفئة معيّنة فقط.

وأصبحت كلمة الإدارة هى التى يلمع بريقها فى الأفق كإطار للنجاحات والارتقاء بالأداء خصوصاً بمفهوم الجودة الذى توصل إليه الإنسان مؤخراً.

فحاولنا أن نوضح أن الـدين هـو الأسـاس والأصـل وأنـه سـبق الإدارة بالمفهوم الأساسى للإسلام وهو الاسـتقامة وهـو مفهـوم يحمـل فى طياته كل ما يتعلق بالقيمة والجودة.

حيث يدعو إلى الصلة مع الله سبحانه وتعالى أعظم وأشمل القيم والأهداف فى الوجود .

ويضع الفرائض والأوامر التى من شأنها أن تحافظ على هذه الصلة وينهى عن كل ما من شأنــه أن يفقد أو يضعف هــذه الصلة، قال تعالى :

﴿ واعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا واذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ﴾ (سورة آل عمران آية: ١٠٣).

حيث نحصل على النفس المستقيمة والعقل المستقيم والقلب المستقيم والجسد المستقيم، والنتيجة هى الارتقاء بالأداء وحصد النجاحات وتوحيد الأهداف واختفاء النزاعات والاعتداءات وانتشار العدل والتكافل بين بنى البشر، فتتحقق جودة الحياة وذلك بالتبعية حيث إن كل الأشياء فى الحياة والتى نتعامل معها على أنها أهداف هى فى واقع الأمر ليست أهدافاً وإنما هى وسائل تقربنا وتساعدنا على الصلة بالهدف الحقيقى والأسمى وهو الله سبحانه وتعالى.

ولكن عدم التعامل مع الدين كما ينبغى هو الذي أفقده الروح العملية التى هى أساساً من أبرز سماته وأقعده فى مقاعد المتفرجين، بل وأدخله إلى كواليس حياتنا وأبعده عن مهمته وطبيعته الحقيقية كاتجاه للإدارة .

وجعل أيضاً الإدارة فى حياتنا مجرد شيء جاف ومعزول عن الدين يحصر الإنسان فى الحصول على منفعة أو مصلحة وقتية قاصرة مبتورة وأفقدها الروح المعنوية.

وأضعف أداء الانسان الذى أصبح دافعه وباعثه للعمل الخوف من المدير أو المسئول أو الخوف من ضياع فرصة أو لقمة عيش وليس الخوف على فقد الصلة مع أعظم وأقيم ما فى الوجود وهو الله سبحانه وتعالى.

والله سبحانه وتعالى هو الذى جعل الأداء والعمل بحاجة إلى توجيه أى إدارة وهو أيضاً الذى جعل الإدارة بحاجة إلى اتجاه أى دين، إذاً كلاهما فى النهاية من صنع الله عز وجل، ولكن عدم معرفة وفهم طبيعتهما وعدم التعامل معهما بالشكل الصحيح والحقيقى هو ما صنعناه نحن البشر .

فلنتذكر دائماً ان الدين هو اتجاه معيّن للإدارة .

المراجـــع

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية الشريفة.
- أفكار وآراء ونماذج خاصة للمؤلف.
- تفسير ابن كثير.
- تفسير الشعراوى.
- (الله) عباس العقاد.
- (التفكير فريضة إسلامية) عباس العقاد.
- (الله) مصطفى محمود.
- (السر الأعظم) مصطفى محمود.
- (فلسفة الجمال الداخلى) محمد طنطاوى.
- (الفكر المعاصر فى التنظيم والإدارة) د/ سعيد يس عامر، د/على محمد عبد الوهاب.
- (إدارة الأفراد والتطوير التنظيمى) د/ إبراهيم الغمرى.
- (موسوعة الفلاسفة) د/ فيصل عباس.

الفهرس

رقم الإيـــداع : ٢٠٠٦/١٩٦٦٢
الترقيم الدولى :
977 - 294 - 371 - 9